AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00840 7847

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

BX
139
A1
J.5
V.2

تاريخ الكنيسة القبطية

المعروف بموجز المقال

وهو يتضمن تراجم مشاهير رجال الامة القبطية
مع ملخص تاريخ كنيستها الارثذوكسية

تأليف

الشماس فرج جرجس

معلم دين بالمدرسة الاكليريكية

الجزء الثاني

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

طبعة رابعة منقحة

« طبع بمطبعة المحيط بالفجالة بمصر سنة ١٩١٧ »

F221
٧٠٢
15990
٩٧٤
ن ف ت
٤٤

مقدمة

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

لو أني صغت من المديح قلائد . ونظمت في الشكر والثناء قصائد . ما وفيت ابناء امتي المحبوبة حقهم . ولا قمت ببعض ما يجب نحوهم . فقد قابلوا الجزء الاول من كتابي هذا بالترحيب . ومنحوه من عطفهم واقبالهم أوفر نصيب . رغم ما اعرفه في نفسي من العجز وقصر الباع . وما أعترف به من قلة البضاعة وسقط المتاع . حتى قوي عندي الرجاء واتسعت فرجة الامل . فاعملت الجهد في متابعة العمل . ثم وفقني الله بفضله . وأمدني بعونه . فابرزت ثاني الاجزاء . الذي اضعه الآن بيمين الاحترام بين أيدي القراء . راجياً ان يكون حظه لديهم حظ الجزء الاول من الرضاء

ولما كان قداسة البابا المعظم والحبر المكرم سيدي البطريرك انبا كيرلس . خليفة الكارز مرقس . اطال الله

في حياته . وأدام علينا عهد رئاسته . قد حباني من صنوف التشجيع ما قوى ضعفي . وأنهض عزيمتي . وشرف خدمتي. حيث اصدر أمره الكريم بتدريس الكتاب لتلامذة المدارس الاميرية والمدارس القبطية . فالاعتراف باحسانه إليّ . أراه فرضاً واجباً عليّ . وتعطير الارجاء بأريج هذه البركة الرسولية. خير ما أترنم به بكرة وعشية

ولست بجاحد معروف حضرات اصحاب النيافة الآباء المطارنة والاساقفة الذين رمقوا الكتاب بعنايتهم . وأحلوه خير محل من التفاتهم . فاقدم لهم عظيم الشكران وجزيل الامتنان أدامهم الله ذخراً لابناء الايمان

افرح جرجس

الجيل الثالث

تاريخ الاضطهاد

ختمنا الجزء الاول بشيء من حوادث الجيل الثالث والآن نتابع ذكر الامور بالتوالي فنقول

بعد ان تبوأ غالوس الامبراطور عرش السلطنة الرومانية استتب الامن والسلام في جميع ارجاء المملكة لان غالوس عرف كيف يجذب اليه القلوب ويجمع لديه النفوس بواسطة ما اغدقه عليهم من العطايا لكي يهدأوا ويتركوه يتمتع بشهواته الرديئة وغاياته الدنيئة الا انه كان بين قواده قائد يدعى اميليانوس أخذ على عهدته ان يحارب اعداء الامبراطور فظفر بهم بعد حروب فحدثته نفسه بعدئذ ان يغتصب تاج المملكة فلقب نفسه قيصراً فلما شعر غالوس بذلك شن عليه الغارة وخرج لمحاربته حتى كاد يخضعه ولكن قتل في اثناء العراك. وحدث في ذلك الاوان ان طاعوناً فشا في الرعية وأهلك جماً

غفيراً فظن الوثنيون ان الآلهة ساخطة عليهم بسبب وجود النصارى في مدنهم وسكوتهم عليهم فهاجوا كالبحر الزاخر وذهبوا الى الامبراطور وطلبوا منه ان يصدر أمره بقتل جميع المسيحيين وابادة الديانة المسيحية من ارجاء العالم. فما عتم الملك ان انصاع لنصيحتهم وأمر باهلاك النصارى من كل بقعة من بقاع المملكة. ولا تسل عما حدث في ذلك الحين من الاضطهاد الذي انهال على رؤوس النصارى حتى ان القلم ليعجز عن وصف تلك الفظائع .

يضطهدون فيباركون

ومن الغريب المدهش انه بينما كانت المصائب تنهال على المسيحيين من كل جانب كان المسيحيون يعالجون الوثنيين من مرض الطاعون الذي تفشى في تلك الايام وحدث بعد ذلك انه كان في رومة رجل شيخ اسمه فالريان تسمى قاضياً من طرف المجلس العالي في أيام ديسيوس فلما اغتصب اميليانوس القائد المملكة نهض بجيش جرار لقتاله فمالت اليه الجنود ورغبت فيه وسلموه زمام الملك بدلاً من ذلك المغتصب.

وكان سابور ملك الفرس قد وضع يديه على بلاد سوريا فزحف اليه فالريان بجيش عظيم ليأخذ منه هذه البلاد وقبل ان يخرج من رومية ولى ابنه غلينوس عوضاً عنه وكان شاباً طائشاً بل ولداً مغروراً لا يعرف من السياسة الا الاسم ولا من العلوم الا الرسم أما فالريان فانهزم في الحرب واسره ملك العجم واخذه عبداً واذاقه مر النكال حتى انه كان اذا اراد ان يمتطي جواده طرحه على بطنه وداسه برجله جاعلا اياه بمثابة سلم لركوبه . ولما مات سلخ جلده ودبغه وصبغه باللون الاحمر وحشاه بالتبن ووضعه في هيكل الاوثان

الجزاء العادل

واما ابنه غلينوس فاضرم نار الاضطهاد على النصارى بتأثير ساحر وثني حتى انه أمر بقتل جميع كبار النصارى ولكن بينما هو يفعل ذلك اذ سمع بموت والده فعلل هذا بأنه جزاء ما اوقع بالنصارى من الاحن

ثروة الكنيسة

وقد استشهد في هذا الاضطهاد كثيرون نذكر من

بينهم القديس سكستوس اسقف رومية فان الجنود قبضوا عليه وساقوه للذبح وفيما كان يسير شاهده شماسه لورنسيوس فهتف باكياً (الى اين تذهب يا أبتاه تاركا ابنك) فاجابه الاسقف (انك ستتبعني بعد ثلاثة أيام) فتعزى بهذا الكلام ومن ثم اخذ يتأهب لملاقاة العذاب موزعاً ما تحت يده من اموال الكنيسة على الفقراء والمعوزين . فلما بلغ الملك ان الكنيسة ذات ايراد عظيم وان فيها من الجواهر واللآلىء الثمينة مالا يقدر بمال طلب من شماس الكنيسة المتقدم الذكر ان يأتي له بما فيها من الكنوز فاجابه الشماس على الفور نعم يا سيدي ان كنيستنا يوجد بها اموال طائلة وكنوز وفيرة الا اني اطلب منك ايها الملك ان تمهلني ثلاثة ايام وانا آتي لك بما هنالك من الكنوز فامهله ثلاثة أيام طاف في غضونها الشماس المدينة وجمع الفقراء الذين تعولهم وتهتم بهم الكنيسة ثم مضى للملك وقال له اتبعني وانا أريك خزائن كنيستنا فانك سترى امتعة ذهبية تملأ داراً واسعة فتبعه الملك ظاناً انه يحوز أموالاً وافرة فلما شاهد جمهوراً من العميان والمقعدين قال له الشماس

مشيراً اليهم هـذه هي الخزائن التي وعدتك بها وهؤلاء هم كنوز الكنيسة بل رأس مالها بل كل مقتناها وحينئذ احتدم الملك من الغيظ وأمر بتعذيبه في الحال وضربه بالسياط حتى تهرأ لحمه ثم أحمى صاجاً وربطه عليه ليموت مخبوزاً فلما احترق احد جنبيه التمس ان يحول الى الجنب الآخر فحولوه ورفع عينيه نحو السماء وصلى صلوة الشكر للرب ثم اسلم الروح. وايضاً قد استشهد في هذا الحين القديس كبريانوس اسقف قرطجنة وكان محبوباً لتقواه الزائدة

يدفع أجرة قتله

ويقال انه عنـد موته خلع ثياب الكهنوت وسلمها لشماس وصلى ثم دفع خمس قطع من الذهب للجلاد وربط عينيه بمنديل وقـدم رأسه الى الجلاد فقرش المؤمنون ثياباً تحته ليأخذوا دمه بركة كما انهم اعتنوا بدفنه اعتناءً عظيماً .ومن اعظم أقوال هـذا القديس قوله يوجد في الناس اثنا عشر صنفاً رديا (١) طبيب لاعمل له (٢) شيخ لا دين له (٣) شاب لاطاعة عنده (٤) غني لا يتصدق (٥) امرأة لا

تستحي (٦) شيخ خال من الصلاح (٧) مسيحي لجوج (٨) فقير متكبر (٩) ملك غير عادل (١٠) أسقف متغافل (١١) قوم لانظام لهم (١٢) رعية لاسنة لها

ولنرجع الى ما كان من أمر الامبراطور غلينوس بعد هذا الاضطهاد المريع فانه قد قامت عليه ابناء بلاده وقتلوه وقد انتخبوا بعده كلوديوس الثاني في سنة ٢٧٠ م وهذا لم يملك طويلاً على العرش بل بعد قليل مات في حرب مع القوثيين ومن ثم تولى بعده الملك اورليان وكانت بريتانيا وغالياواسبانيا قد شقت عصا الطاعة فذهب اليها وحاربها وظفر بها وادخلها تحت الراية الرومانية ثم حول نظره الى الولايات الشرقية وبالاخص سوريا فأخذها ثم أسر زنوبيا ملكة تدمر وأخذ منها القطر المصري لانه كان وقتئذ تحت يدها وكان هذا الملك قد شرع اخيراً ان يصب جامات الغضب على رؤوس المسيحيين ولكن انقضت صاعقة على رجليه بينما كان يمضي المنشور القاضي باهلاك النصارى فمات لوقته وساعته ومن ثم تولى بعده تاسيتوس الذي هو من نسل تاسيتوس المؤرخ

الشهير وكان على جانب عظيم من الحكمة والسياسة على انه لم يمكث على العرش طويلا لانه مات من كثرة الغموم والاحزان التي تراكمت على المملكة من كل جانب. ثم أخلفه أخوه فاليانوس ولكن اذ لم يكن المجلس أقر عليه عزله وولى بدله بروتوس قائد جيوش الشرق في سنة ٢٧٧م الا انه لم يحسن التصرف مع عساكره فانه كان يسخرهم في حمل الاثقال وكنس الشوارع وحفر الترع ولذلك هجموا عليه وقتلوه وأقاموا بدله كادوس الوالي وكان له ابنان اشركهما معه في الحكم وقد أخذ معه ابنه نوميريان الى ساحة الحرب ولكن لم يكد ان يصل الى ما بين النهرين حتى انقضت عليه صاعقة فمات سنة ٢٨٢ م. وفي اثناء رجوع الجيش من آسيا مات أيضاً ابنه قتيلاً واما ابنه الثاني المسمى كارينوس فانه لطخ سمعته بالعيوب حتى شابه نيرون في أعماله الفظيعة الا انه كان محبوباً من الجميع ما عدا جنود الشرق فانها أبت ان تؤدي له الطاعة ونادت باسم قائدها ديوكليتيان الذي كان في أول أمره فلاحاً من أهل دلماتيا ثم ارتقى باجتهاده

الى رتبة قائد جيش فوقع من ذلك النزاع بين عساكر الولايات الشرقية والغربية وكانت النتيجة ظفر الفريق الاول على الثاني ومن ثم اصبح الحكم كله في يد ديوكليتيان. ولما كانت الحكومة واسعة الاطراف اشرك هذا الملك معه صديقاً له يسمى مكسيمانوس وجعل مقر كرسيه في ميلان وسلطه على ايطاليا وافريقيا وكان ديوكليتيانوس على جانب عظيم من التوحش وخشونة الطباع حتى انه أمر مرة بقتل فرقة مسيحية يبلغ عددها ٦٦٦٦ لانها لم تقبل ان تذبح للاصنام اوان تساعده على قتل النصارى . وقد جاء هذا الطاغية الى الديار المصرية وضايق المسيحيين فيها وهو الذي أمر بقتل الانبا بطرس البطريرك واثار الاضطهاد على النصارى وكانت نتيجة هذا الاضطهاد انه قد استشهد من مسيحي مصر ٨٤٠٠٠٠ لبسوا جميعهم أكاليل المجد من الرب يسوع كما سترى ذلك مفصلا في الجيل الرابع

الفصل الاول

اكليمنطس الاسكندري الفيلسوف الشهير

هو تيطس فلافيوس من فلاسفة الكنيسة المشهورين بالعلوم والمعارف . قال البعض انه ولد بالاسكندرية فنسب اليها وذهب البعض انه ولد في مدينة اثينا نحو اواسط القرن الثاني تفرغ منذ نعومة اظفاره لدرس الفلسفة وسافر الى بلاد اليونان وساح في ايطاليا ومصر وكان على دراية تامة بالفلسفتين الرواقية والافلاطونية وعاشر المعلمين النصارى فأثر فيه ما سمعه منهم وخصوصاً ما سمعه من بنتيوس الفيلسوف فاهتدى الى النصرانية وصار معلماً فيها ومحامياً عنها حتى انه لمهارته أخلف بنتيوس الفيلسوف على رئاسة المدرسة الاكليريكية سنة ١٩٠م . وقد ذاع اسمه في كل صقع وناد فتقاطرت اليه الطلبة من جميع الامصار وكان من بينهم اوريجانوس العلامة الشهير ولشدة ثقة الكنيسة باخلاصه ومحبته قد سامه الاسقف ديمتريوس قساً وبقيت ادارة المدرسة

في عهده الى سنة ٢٠٢ حين حدث الاضطهاد الشنيع الذي اثاره سفيروس فاضطره الامر الى الهروب الى فلسطين ومن ثم اتيح له ان يزور المدينة المقدسة اورشليم وايضاً قد زار انطاكية . وذكر في بعض التواريخ انه رجع الى الاسكندرية ولكن المرجح انه بقي في اورشليم الى سنة ٢١٠ لان اوسابيوس ذكر انه كان حاملاً رقيماً من اسقف اورشليم الى كنيسة انطاكية في التاريخ عينه

اما ما قد امتاز به هذا العلامة عن سواه فهو تضلعه التام في الفلسفة حتى انه لكثرة شغفه بها كان يعتبرها علماً سماوياً والفلاسفة انبياء الوثنية وتعليمهم تمهيداً لطريق المسيح بين الوثنيين كما كان ناموس موسى تمهيداً لهم بين العبرانيين

وقد اجهد قواه في تفسير الكتاب المقدس الامر الذي ساعد على فهم معاني المسيحية وعلى انتشارها بين الفلاسفة والعلماء

وقد خلف عدة مؤلفات مفيدة فُقد اكثرها ولم يعثر منها الا على كتاب نصائح الوثنيين اظهر فيه فساد الديانة الوثنية وسمو الانجيل وعلق عليه كل الحياة الادبية والدينية.

واظهر ان العالم بلا الانجيل كالليل بلا صبح . وكتاب المربي او المدرس تكلم فيه عن الشريعة المسيحية الادبية بالايجاز وذلك لتعليم المبتدئين وكتاب البسط ودعاه بهذا الاسم لانه اشبه بنسيج من الفلسفة المسيحية وسواها وفوائد شتى تتعلق بمواضيع هامة . وله رسالة صغيرة عنوانها من هو الغني الذي يخلص . والحاصل ان هذا الفيلسوف قد خدم الدين خدمة جليلة وهو اول من اراد التوفيق بين العلم والدين . ويتضح لمن أمعن النظر في مؤلفاته انه على سعة عظيمة من العلم والمعرفة ولولا ان الدهر عبث بمؤلفاته الثمينة لبقيت كنزاً نفيساً للعالم الى اليوم. نعم قد عثر له على بعض التفاسير ولكن بعض اصحاب البدع مع الاسف شوّهوا حقيقتها واضاعوا ثمرتها وافقدوا لذتها وقد توفي هذا الفيلسوف الاسكندرية سنة ٢١٥ م فحزن عليه تلاميذه كما حزن على فقده كل عالم وفيلسوف عرف فضله

الفصل الثاني

اوريجانوس العلامة

المسابقة على الاستشهاد

ولد بمدينة الاسكندرية سنة ١٨٤ م من والدين فاضلين وكان والده من علماء عصره فانكب على تعليم ابنه من نعومة اظفاره فشب مغرماً بالعلم محباً للعلماء. ومن شدة اعجاب والده لونديوس به وبفرط ذكائه النادر كان في غالب الاوقات يأتي اليه وهو نائم ويكشف الثياب عن صدره فيقبله مرات عديدة. ولما اضطرمت نيران الاضطهاد حاول اوريجانوس أن يفر من يد والدته لينال اكليل الشهادة فلم يستطع ذلك ولما رأى ان والده سبقه الى نيل هذا الاكليل استعرت فيه نار الشوق الى اللحاق بوالده حيث كان مسجوناً فسرقت والدته ثيابه واخفتها فلما ضاق به الامر ارسل لوالده في السجن رسالة ملآنة بروح التقوى والورع يحرضه بها على احتمال المحن بالصبر والثبات على الايمان الوطيد الى آخر نسمة من الحياة.

وكانت قوانين الحكومة تقضي بأخذ املاك المحكوم عليهم بالاعدام. فلما استشهد القديس لونديوس أخذت جميع املاكه الى دار الحكومة بعد ان تركت عائلته على بساط الفاقة والفقر ولكن العناية التي دائماً تتكفل بالضعفاء والفقراء عينت لهذه العائلة التعيسة امرأة غنية تبرعت بالانفاق عليها كما انها اهتمت بتعليم اوريجانوس التعليم العالي بمدرسة اكليمنضس. ويقال انه لميله الفائق الى تحصيل العلوم الدينية باع كتبه العلمية وتساعد بثمنها وتفرغ لمطالعة الكتاب المقدس وحده ليدرك تمام الادراك جميع غوامضه. ولما زاد علمه وعمله ودينه وأدبه فتح مدرسة ليبث فيها روح المسيحية والعلم فهرع اليه الطلبة من كل صوب وفج عميق وقد جعل أجرة التعليم بها زهيدة جداً حتى يسهل على الفقراء الانضمام اليها فاندمج في سلكها كثيرون من شبان الوثنيين الذين صاروا فيما بعد من اعظم المناضلين عن شرف المسيحية في كل اصقاع العالم وقد اثبتوا تعاليمها بدمائهم الطاهرة ونفوسهم الذكية

وقد كان اوريجانوس شجاع القلب شديد العزم قوي

الحجة متين العبارة لا يهاب الموت ولا يخاف المنون . فكم من مرة وقف في موقف العذاب ليشجع المؤمنين على احتمال الآلام غير تارك وسيلة الا وعملها أو واسطة الا وابداها. فكان تارة يشجع المسيحيين بخطبه الشائقة وتارة بالاشارات عند عدم وجود الفرصة المناسبة فكان يشير بأصبعه للمعذبين الى السماء ولسان حاله يقول لهم « لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولكن خافوا ممن له سلطان ان يهلك النفس والجسد معاً ». ولا تسل عما داهمه من جراء هذه الغيرة فانه عرض بحياته الى الخطر مراراً وأوشك ان يموت بالرجم أو بالضرب اثناء تأدية واجباته . وقد كبل مرة بالقيود وطرح في السجن والى هنا اختلف المؤرخون في تصرفه فقال بعضهم انه وعد الوثنيين بالتبخير للاصنام فلما صعدوا به الى أعلى الهيكل ووضعوه على منبر عال ليسمعوا منه كلمة اعتراف بآلهتهم الكاذبة أبى أن يعترف الا بالسيد يسوع المسيح جهاراً فاغتاظ الوثنيون وحنقوا عليه حنقاً شديداً . وقال آخرون انه بالفعل قدم بخوراً للاوثان ولكنه رجع وندم على ما فعل.

ويقال ان الذي ساعده على احتمال المشقات والاخطار بصبر هو كثرة تقشفه وتنسكه وتعوده العيشة الصارمة اذ كان يصوم كل يوم تقريبا ما عدا أيام المواسم والاعياد والاحاد وكان يقضي ليله بالصلاة ونهاره بمطالعة الكتب المقدسة

مركزه العلمي . رأيه في المعجزات

وأما تأثيره في عالم الخطابة فقد فاق أعاظم الخطباء في كل العصور . ولا أبالغ ان قلت انه كان أعظم من دمستينوس الخطيب في أوانه فانه كان بسيط العبارة فصيح القول شديد التأثير على سامعيه. ويقال ان الملكة جوليا أم القيصر اسكندر التي كانت من أفضل المسيحيين وكان ابنها يحب المسيحيين كانت تستدعيه اليه ليخطب امامها مراراً

وكما كان خطيباً مصقعاً وواعظاً غيوراً كان محامياً متضلعاً وكاتباً نحريراً . فانه في أيامه نبغ بين الوثنيين فيلسوف يدعى صلس طعن في الانجيل المقدس بكتاب ألفه فانبرى للرد عليه اوريجانوس فادهش برده الاخصام كما انه اسر الاحباب

ومن أعظم أقواله قوله « انه يوجد وسائط أكيدة تميز

بها الاعمال السحرية من المعجزات الحقيقية التي هي عمل الباري تعالى. وهـذه الوسائط تقوم بالفحص عن آداب صانعيها وتعليمهم والمفاعيل التي تبرزها هـذه المعجزات. فموسى والانبياء ويسوع المسيح وتلاميذه لم يعلموا الا ما كان مطابقاً كل المطابقـة للصواب وجزيل الفائدة للآداب الصالحـة للجمهور. فهم أول من وضعوا بالعمل ما علموه وكان التأثير عظيماً ومستديماً. أما موسى فهذب أمة برمتها وساسها بنواميس مقدسة ويسوع المسيح ضم جميع الأمم الى معرفة الاله الحقيقي والى مباشرة كامل الفضائل. اما السحرة الكـذبة فلايبتغون اصلاح الناس وليس لسحرهم وفكرهم نتائج صالحة. فانبعاث يسوع المسيح من الموت الآية العظيمة واساس الدين المسيحي لانه لا يمكن قط ان تشتبه بمكر لان يسوع المسيح مات مشتهراً معلقاً على الصليب تجاه كل الشعب اليهودي ودفن وبقي في القـبر ثلاثة أيام وكان القبر مختوماً والجنود تحرسه ثم ظهر مـدة اربعين يوماً لبطرس ولباقي الرسل ثم لخمسماية تلميـذ كانوا

مجتمعين معاً فلو لم يشاهدوه منبعثاً ولو لم يتيقنوا الوهيته لما كانوا عرضوا بنفوسهم للعذاب والموت لينذروا في كل مكان بالتعليم الذي اخذوه عنه كما امرهم بل لكان موته المخجل محا من عقولهم ذكره ولكانوا عدوا نفوسهم مخدوعين ومن ثم كانوا شجبوه ورذلوه فوجب ان يكونوا شاهدوا امراً خارق العادة حتى اعتنقوا تعاليمه وجعلوا غيرهم يعتنقونها ولم يبالوا لذلك براحتهم ولا بحريتهم ولا بحياتهم. فكيف يمكن ان اناساً جهلاء واميين يقدمون على تغيير العالم باسره ان لم يكونوا مؤيدين بقوة الهية . وكيف يمكن ان الشعوب ينبذون عوائدهم القديمة باندارهم ويتبعون تعليماً مغايراً لما شبوا عليه لو لم يتجددوا بقوة خارقة العادة

علاقته بترجمة الكتاب

وقد امتاز هذا العلامة أيضاً بحفظ اللغات الامر الذي مكنه من مقابلة نسخ الكتاب المقدس وترجماته وجمعه اياها في مجلد واحد . فانه قد كتب أولا اربع ترجمات وجعل كل ترجمة منها في عمود خاص وقد وضع ترجمة أكويلا اليهودى

التي ترجمها من العبراني الى اليوناني في أول القرن الثاني أولا وفي العمود الثاني ترجمة سيماخس التي ترجمها الى اليوناني قرب ختام القرن الثاني. وفي العمود الثالث الترجمة السبعينية. وفي العمود الرابع ترجمة تاودوسيوس. فخدم بذلك الدين اجل الخدم اذ قرب الكتاب الى افهام الامم. ولم يقتصر على ذلك فقط بل انصبّ على درس اللغة العبرية فتعلمها واتقنها كل الاتقان وبذلك تسنى له ان يضع الكتاب المقدس في ست لغات كبرى وهذه الترجمة هي التي قد دعاها (اكزابلا) أي السداسي. ثم يقال انه بعد البحث والتنقيب عثر على ثلاث ترجمات اخرى لا يعلم زمان ترجمتها ولا من المترجم لها وقد انزلها في الدرجة الثانية بعد الترجمات الاربع الاول. واخيراً قد اعتنى بأن يكتب مجلداً ثالثاً وضع فيه الترجمات السابقة الذكر مع اضافة الثلاث ترجمات الاخيرة وقد دعا هذا (المجلد انابلا أي التساعي). ومن اعماله الهامة الكرازية هو انه ذهب الى احد امراء العرب وعرفه عن الرب يسوع المسيح المخلص الوحيد للجنس البشري فلما اقتنع الامير بادلته

الساطعة اعتنق الديانة المسيحية وتبعه في ذلك قومه

تفسيره الكتاب وأراؤه الغريبة

ومن اعماله الشهيرة ايضاً رده على بيرلس اسقف بصره الذي اعتقد (ان ناسوت المسيح قديم وان النفس تموت مع الجسد) فدافع عن تعليم الانجيل ببلاغة مدهشة حتى اضطر الاسقف المذكور ان يقر بالايمان الصحيح امام المجمع الذي ألف لهذا الغرض

ومن اعماله أيضاً تعرضه لتفسير الكتاب المقدس بدون دقة وامعان الامر الذي سبب له الاتعاب الكثيرة وجعل الكنيسة في خصام وشقاق لان مسيحي الغرب اعتبروها مقدسة وانكبوا على مطالعتها ومسيحي الشرق طعنوا باستقامة تعاليمها وحرموها. وقد الف مجمع للنظر في أمر اوريجانوس وتعاليمه تحت رئاسة الاسقف ديمتريوس فحرم هذا المجمع اوريجانوس لانه سيم أولاً من اسقف قيصرية فلسطين الذي لا سلطان له عليه ثانياً لانه خصى نفسه واعترف بذلك لاسقفه ديمتريوس. وقد انعقد هذا المجمع

مرة ثانيه وبحث مؤلفاته وحرمها وبعدئذ توالى انعقاد المجامع الكثيرة في كل صقع ومكان فبعضها كان يحرم مطالعة تلك المؤلفات والبعض الآخر كان يحلل قراءتها. وقيل ان يوحنا فم الذهب قد ذهب ضحية محبته وشغفه واعجابه بها لان تاوفيلس الاسكندري وابيفانيوس القبرصي عقدا ضده مجمعين في القسطنطينية وطرداه من كرسيه. وقد علل البعض ان هذه المقاومة نشأت عن حسد ابيفانيوس الاسكندري لشهرته الطائرة. وللفائدة نذكر الامور التي حرمه لاجلها المجمع الاول الذي كان تحت رئاسة انبا ديمتريوس وهي اعتقاده (أولاً) ان الانفس خلقت قبل اجسادها وحبست فيها لمعاص ارتكبتها (ثانياً) ان الابن مخلوق وغريب عن جوهر الآب (ثالثاً) ان نفس المسيح وجدت واتحدت في الطبع الالهي قبل زمان التجسد (رابعاً) ان المسيح أخذ جسداً بلا نفس ثم تركه بعد الصلب (خامساً) ان أجسادنا الهيولية تتحول في القيامة الى غير هيولية (سادساً) ان عذاب البشر محدود (سابعاً) ان الشياطين سيخلصون (ثامناً) انه فسر

قول السيد وخصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت الله مت ١٩ : ١٢ على ظاهرها وخصى نفسه ومن ثم سافر الى جملة أماكن وأخيراً في أيام الامبراطور ديسيوس حين كان الاضطهاد شديداً على المسيحيين قاسى اوريجانوس عذابات كثيرة وأخيراً ألقي في غيابة السجن وقضى به سنتين مقيداً بالسلاسل والاغلال فاحتمل ذلك بفرح وصبر زائد وندم على ما تقدم وعلى ما تأخر منه وبعد ذلك مات في سن السبعين

الفصل الثالث

ترجمة الأب ديوناسيوس

البطريرك الرابع عشر

كان يوناني الجنس ووثني المذهب اما موطنه فكان مدينة الاسكندرية ولم يكن يعرف شيئاً عن الخلاص بالرب يسوع المسيح ففي ذات يوم مرت عليه امرأة عجوز وبيدها كراسة من رسائل بولس الرسول كاروز الامم فقدمتها له لاجل ان يشتريها فبعد ان تفرس فيها قليلاً انقدها الثمن .

وما عتم ان قرأها الا وأخذت من قلبه كل مأخذ ودخلت الى اعماق قلبه ولبه وصار يتأمل في رقيق عبارتها وسلاسة نسجها وجميل تركيبها وبلاغة حجتها وقوة برهانها ولذلك طلب من المرأة ان تأتيه بكراسة اخرى من هذا النوع ووعدها ان يجزل لها العطاء. فانطلقت المرأة وعادت اليه وهي حاملة بيدها جزءاً آخر من الرسائل الرسولية فدفع على الفور لها الثمن واخذ يمعن النظر في دقة فلسفتها. ورأى ان كتب الفلسفة التي قرأها لا تساوي مثقال ذرة مما في هذه الرسائل فلما رأت منه المرأة هذا الشغف الزائد قالت له ايها السيد ان اردت ان تطلع على نظير هذه الاقوال وارفع منها فينبغي عليك ان تذهب الى الكنيسة فانك تجد فيها من يعطيها لك بدون مقابل. فذهب تواً الى الكنيسة حيث لقيه احد الشمامسة فطلب اليه ان يسلمه ذلك الكتاب الثمين فاحضره اليه فأخذ يطالعه سفراً بعد الآخر ومن ثم صار يقرأ الشروحات المدونة من القديسين فامتلأت نفسه من النعمة الالهية ومن ذلك الحين ابتدأ يلازم المسيحيين ويعاشرهم

ليلاً ونهاراً ولذلك سمح له ان ينضم الى صف الموعوظين. وبعد ان تثبت من صحة الاعتقاد احتفل في يوم خصوصي بتعميده والذي عمده هو القديس ديمتريوس بطريرك الاسكندرية وبعد مدة قليلة ارتقى الى وظيفة الشماسية الشريفة. ولما جلس البابا باركلاس على الكرسي الاسكندري رقاه الى منزلة معلم دين في المدرسة اللاهوتية. وقد كان من حسن حظه ان عاشر القديس الطوباني غريغوريوس العجائبي (١) المشهور كما انه اخذ اعظم الدروس على الفيلسوف اوريجانوس في بوتقة الاضطهاد

ولذلك ارتقى في العلوم والمعارف كما انه تقدم في التقوى والدين. ولما توفى البابا باركلاس عقد الآباء الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية ليقيموا عليهم بطريركاً فوقع اختيارهم على هذا الفيلسوف المحنك فرسموه في سنة ٢٤١ م من شهر كيهك ففرح جميع الشعب بهذا الانتخاب الرباني

واتفق ان ديونيسيوس الامبراطور الروماني اصدر

---

(١) هذا القديس تاريخه يشبه تاريخ الانبا ابرام اسقف الفيوم المتنيح

امره باضطهاد النصارى ولكن الرب حفظ حياته بطريقة غريبة. فانه لما اثير الاضطهاد في المدينة المذكورة وكان التفتيش عنه من كل جهة لم يهرب ديوناسيوس من مكانه بل اقام فيه اربعة ايام متوالية منتظراً المفتشين. اما القائد الذي كلف بالقبض عليه اذ ظن ان ديوناسيوس لابد ان يكون هرب واختبأ لم يخطر بباله انه باق في البيت فلذلك لم يذهب ليفتش عنه هناك واخذ يبحث عنه في اماكن مختلفة ولكن بعد مضي الاربعة الايام خرج ديوناسيوس من بيته ومعه خدمه وبعض الاخوة فلما صار وقت الغروب التقى بهم الجنود فأمسكوهم واخذوهم الى مكان يقال له تابوزيروس فحدث ان رجلاً من اصحاب القديس ديوناسيوس يقال له تيموثاؤس ذهب ليزوره في بيته فلم يجده ولما عرف بانه قد قبض عليه مع رجال من اصحابه خاف لئلا يصيبه ما اصاب ذاك فهرب وبينما كان راكضاً التقى باحد معارفه فسأله عن سبب جريه فاخبره تيموثاؤس بما كان. ولما افترقا ذهب الرجل لوليمة كان قد دعي اليها فحدث

الجمهور المجتمع هناك بكل ما حدث عن اسر القديس ديوناسيوس فنهضوا عن بكرة ابيهم وهم يصرخون باعلى الاصوات حتى رجوا المدينة وركضوا ليخلصوه فذهبوا الى حيث كان القديس ورفقاؤه محبوسين ولما وصلوا الى هناك وسمع العسكر ضجيج القوم خافوا وفروا هاربين تاركين ديوناسيوس واصحابه بدون حارس فخلوهم من وثقهم واطلقوهم وعاش القديس ديوناسيوس بعد ذلك عمراً طويلاً يجاهد في المحاماة عن عقائد الكنيسة الطاهرة

ومن اشهر اعماله اثبات صحة المعمودية الارثوذكسية ونفي معمودية الهراطقة والرد على الذين زعموا ان الله اعطى الناموس لبني اسرائيل بصفة آب وصار انساناً في العهد الجديد بصفة ابن وحل على الروح القدس بصفته الروح المعزي وأيضاً مقاومة بدعة القائلين ان المسيح يملك على الارض مع المؤمنين الف سنة بالجسد فيها يأكلون ويشربون واشياء أخر من هذا القبيل رد عليها بالبرهان الجلي والدليل الصحيح

وأخيراً مات سنة ٧٦٤ بعد ان قاسى من الشدائد امرّها ومن العذابات اصعبها لاجل خدمة سيده ومولاه الذي قال كل من آمن بي وان مات فسيحيا

الفصل الرابع

الانبا مكسيموس

البطريرك الخامس عشر

في سنة ٢٦٢ انعقد مجمع الاساقفة في مدينة الاسكندرية للنظر في من يخلف البابا ديوناسيوس فقر رأيهم على انتخاب صاحب الترجمة لما اشتهر به من الدعة والسكون على انه لم يكد ان يتولى الكرسي البطريركي حتى اتته رسالة من مجمع انطاكية تنبيء بعزل بولس السميساطي وتعيين دمنيوس بدله على الكرسي الانطاكي لانه خالف التعاليم الارثذوكسية. فحرر حالاً رسالة شكر للمجمع وأرسل أيضاً للانبا دمنيوس يهنئه على النعمة الالهية المعطاة له من قبل الرب. وارسل في

الوقت نفسه منشوراً لجميع ابناء رعيته يحذرهم فيه من تعاليم بولس ويشرح لهم اصول الايمان الواجبة الاتباع

وما كادت الكنيسة تهدأ بالها من تعاليم بولس الكاذبة وبدعه الباطلة حتى فوجئت بظهور بدعة ماني الشريرة . وتفصيل الامر ان ماني اراد ان يوفق بين مباديء الديانة المسيحية ومباديء الديانة الفارسية فضل الطريق واساء الاستنتاج. فأخذ يعلم عن وجود مبدأين مبدأ المادة النورانية او البراقة والثاني مبدأ المادة المظلمة أو الكثيفة ولكل من هاتين المادتين اله خاص . فاله المادة النورانية يسمى الله واله الظلمة يدعى ديمون . فالاول سعيد ومحسن يود أن يكون الكل سعداء والثاني خبيث مسيء يود ان يكون الكل اشقياء تعساء

ثم انه قد لبث رب المادة المظلمة زمناً طويلا لا يشعر بوجود إله النور ولما علم به شن عليه الغارة فانتصر رب النور فأخذ جزءاً كبيراً من المادة النورانية ومزجها بجزء من المادة الخبيثة وكون من ذلك آدم وحواء وصار لكل انسان جسد مادي ونفسان احداهما شهوانية من المادة الخبيثة

والثانية شريفة من مادة النور — ولكي يخلص رب النور هذه الانفس من اجسادها صنع هذه الارض واخرج من ذاته كائنين احدهما المسيح الذي كان مسكنه الشمس والثاني الروح القدس وهو مادة حيوية براقة منتشرة في كل الجلد المحيط بارضنا فيدفيء النفوس ويثمر الارض . وبعد ان انذر رب النفوس بارساله اناساً علمهم ارسل لهم المسيح فنزل من مسكنه الاعلى الى عالمنا هذا لابساً جسداً خيالياً ولما نظره رب الظلمة اثار عليه اليهود فقتلوه ولكن جسده لم يمس باذى لانه كان خيالياً ثم رجع الى مكانه الاول واختار قبل صلبه تلاميذه وعلمهم الديانة وامرهم ان ينشروها ويبشروا بها ووعدهم ان يرسل لهم رسولاً اعظم منه سماه البار قليط اي ماني وهكذا اخذ يتمادى في تعاليمه الكاذبة حتى ضل الكثيرون عن جادة الحق وذهب أخيراً الى بلاد الفرس وادعى بأن له قدرة على عمل العجائب والمعجزات . فاتفق ان ابن الملك مرض فدعي لمعالجته فاعطاه دواء ساماً اماته لساعته فغضب الملك عليه والقاه في السجن فسرقه اتباعه وهربوا به

الى بلاد فلسطين حيث قاومه احد الاساقفة وانكر عليه تعليمه وأمر بطرده فذهب الى العربة ولما شعر بمجيئه الى ملك الفرس امر بالقبض عليه ثم سلخ جلده . وقيل ان سبب موته هو ان ماني طلب من ملك الفرس ان يحضر له اسقف مسيحي حتى يجادله امام حضرة الملك حتى يرى من هو الاقوم تعليما. فارسل الى احد الاساقفة يطلبه فاعتذر واناب عنه ضريراً في مجادلته فلما دخل الضرير سلم على الملك وسأل عما اذا كانت يد الملك الكريمة من خلقة رب الظلمة او رب النور فقال ماني بانها من خلقة رب الظلمة لانه كان يعلم بأن الاجسام انما هي من خلقة رب الظلمة فغضب الملك وأمر بسلخ جلده .

وقد عانى الانبا مكسيموس كثيراً في السهر على اولاده . مخافة ان تجد منهم هذه البدع الشريرة قلباً بسيطاً يعميه الزخارف فيضل عن طريق الحق والحياة

وتنيح بعد ان جلس على الكرسي الاسكندري اثنتي عشرة سنة وسبعة اشهر ويوماً واحداً . وكان ذلك سنة ٢٧٣ ميلادية

الفصل الخامس

الانبا بطرس خاتم الشهداء

البطريرك السابع عشر

ولد هذا القديس بوعد إلهي . وتفصيل ذلك ان أمه ذهبت الى الكنيسة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس وطلبت من الله ان يعطيها ولداً يسر به قلبها فاستجاب الله طلبها . ولما ذهبت الى البيت رأت في رؤيا الليل شخصين يقولان لها لا تخافي أيتها المرأة فان الله سمع صوت تضرعك وسترزقين ولداً كما رزقت حنة بصموئيل النبي فاذا استيقظت من نومك اذهبي عند الأب تاونا واخبريه بذلك . فلما طلع النهار قصت على زوجها كل ما ابصرت . فأمرها ان تذهب الى البطريرك وتقص عليه ذلك. فذهبت وحكت له ماحدث فباركها الاب البطريرك ودعا لها بالتوفيق. وبعد حين ولدت ابنها . ولما ذهبت به ليتعمد سماه الاب تاونا باسم بطرس لكونها بشرت به يوم عيد بطرس الرسول . ولم يمض

وقت طويل حتى نما الولد في الفهم والمعرفة ورأى فيه البطريرك علامات الذكاء فأدخله المدرسة الدينية. ولما صار قادراً على تأدية الوعظ والارشاد في الكنيسة قلده هذا المنصب ورسمه شماساً ثم رقاه الى وظيفة قسيس. ثم ابتدأ من هذا الحين يجادل أهل البدع فكان يفحمهم بصائب رأيه وقوة جدله. وقد حكي ان البطريرك تاونا كان يكمل الخدمة المقدسة في أحد الاعياد السيدية فأتى رجل به روح شرير ووقف على باب الكنيسة وصار يضرب بالحجارة كل من دخل اليها فأمر البطريرك القس بطرس ان يذهب اليه ويخرج الشيطان الساكن فيه. فذهب تواً واحضر اناء ماء والتمس من البطريرك أن يرسمه بعلامة الصليب المقدس وبعدئذ أخذ الاناء وذهب الى الرجل ورشه بالماء داعياً باسم الثالوث الأقدس فسقط الرجل على الأرض مزبداً وخرج منه الشيطان لوقته. ولما شعر البطريرك بدنو اجله اوصى ان يخلفوه بالقس بطرس على الكرسي الكنائسي

وفعلاً اجتمع الاباء الاساقفة والمطارنة سنة ٢٨٥ م

وذكوا الآب بطرس بطريركاً وكان الاضطهاد وقتئذ بالغاً أشده . فلما جلس الانبا بطرس على الكرسي المرقسي أرسل رسائل الى جميع الشعب يثبت بها ابناء الكنيسة على الايمان المستقيم . ولم يكتف بذلك بل جال بنفسه من مدينة الى أخرى يثبت ويعظ ويقوي أهل الايمان ودخل في تجواله مدينة ليكوبولس فوجد ان اسقفها ملاتيوس الاسيوطي قد انكر السيد المسيح وذبح للاوثان تخلصاً من العذاب فأخذ يقنعه ولكنه لم يقتنع شأن كل متعنت للباطل واخذ أيضاً يتهكم على الرسول ويعرض بذكره ويختلق عليه المفتريات والاكاذيب فانقسم الشعب بعمله هذا الى قسمين واحد يتبعه والآخر لم تزعزعه الأراجيف . على انه لم تستمر نتيجة ضلاله طويلاً بل رجع اكثر الذين انضموا الى هذا الجاحد وجاءوا الى البابا طالبين الصفح فقبلهم الى حضن الكنيسة

بدعة أريوس

وفي ايامه ظهر اريوس الهرطوقي الذي كان يعلم بان ابن الله كائن بعد ان لم يكن . فنصحه الاب البطريرك

بالابتعاد عن بدعه هذه امام مجمع من الآباء الاساقفة فأبى واصر على فكره وكان في ذلك الوقت قد حضر امبراطور القسطنطينية الى الاسكندرية وامر بقتل البابا بطرس ان لم يرضخ للآلهة الكاذبة ولما أبى اخذه وسلخ جلده بعد ان قيده بالاغلال . فلما علم اريوس بسجن البابا طلب من وجهاء الشعب ان يشفعوا به لدى البطريرك حتى يعيده الى الكنيسة طمعاً منه بالارتقاء الى الكرسي بعد موت القديس وفي هذا الوقت رأى رؤيا في الليل اذ ان رب المجد ظهر له بشكل غلام عمره ١٢ سنة وكان متصفاً بمجد عظيم لابساً ثوباً ابيض ممزقاً من طوقه الى أسفل فسأله البطريرك قائلاً « من هو يارب الذي مزق ثوبك » فقال له هو آريوس ومن ثم أوصى ارثلا واسكندر كاهنيه بان لايقبلاه في الاشتراك الكنائسي

قتل ٨٤٠٠٠٠ نفس

اما السبب الذي من اجله اشعل مكسيمانوس نيران الاضطهاد على اهل مصر وقتل منهم ما ينوف عن ٨٤٠٠٠٠ نفس غير الذين حكم عليهم بالحبس او بالرجم او بالسجن او

بالجوع هو انه عثر على بعض الرسائل التي ارسلها القديس
بطرس لأولاده ضد الديانة الوثنية وفوق ما سمعه من احد
قواده المسمى سقراط وقد كان مسيحياً ولكنه انكر
الايمان فيما بعد ذلك ان القائد اخبر الملك ان امرأته لها
ولدان ارادت ان تعمدهما في الكنيسة فزجرها فما كان منها
الا ان ذهبت الى مصر وعمدتهما عن يد الاب البطريرك
فأمره الملك بان يحضرها امامه فلما عادت المرأة احضرها
القائد امام الملك وسألها عما حملها على الذهاب لتلك البلاد
فأقرت بكل ما فعلته فأنكر عليها ذلك وقال لها انما ذهبت
لتزني مع النصارى فانكرت ذلك وبرهنت له على سمو آداب
المسيحيين وتقوامم باحسن عبارة حتى انها اذهلت كل من سمعها
ولكن الملك استشاط منها غيظاً فأمر ان تربط يداها وراء
ظهرها ويعتقل ابناها على بطنها وتحرق بنار فنالت بذلك
اكليل الشهادة معهما ثم امر بقتل القديس بطرس فلما علم
نصارى الاسكندرية اجتمعوا على باب السجن طالبين انقاذ
راعيهم بالقوة فلما رأى القائد المأمور من القيصر بتنفيذ

الحكم على القديس هذا المجمع المحتشد خشي من حدوث قلق وشغب فابقى تنفيذ امر الملك الى الغد مؤملاً ان يعود الشعب من حيث اتى اذا حبسه هذه الليلة غير انهم لم يبرحوا باب السجن . ولكن القديس استدعاه واشار عليه ان ينقض قليلاً من حائط السجن من الجهة التي لم يكن الشعب واقفاً بها فأطاع القائد المشورة واخرج القديس سراً وذهب به الى مكان يقرب من قبر القديس مرقس الرسول الذي كان بدار البقر فلما وصل القديس الى ذلك المكان جثا على ركبتيه وبدأ يصلي قائلاً يارب اجعل دمي خاتمة هرق دماء المسيحيين وانتهاء زمن الاضطهاد وكان بالقرب من القديس بيت مسيحي فيه صبية عذراء كانت تصلي فلما انتهت من صلاتها سمعت صوتاً يقول « بطرس اول الرسل وبطرس آخر الشهداء » وبعد ان اتم القديس صلاته تقدم بشهامة الى السيافين فلم يجرأ احد منهم ان يدنو منه لان الرعب استولى على قلوبهم فدفع القائد لاحدهم ٢٥ ديناراً وامره بقطع رقبة القديس فتقدم وقطع رقبته ثم علم الشعب

بذلك فأسرعوا الى حيث جسد المغبوط والبسوه ثياب البطريركية واجلسوه على كرسي مار مرقس الذي أبى ان يجلس عليه في حياته بكل اكرام وصلوا عليه ثم دفنوه وذلك في ٢٩ هاتور سنة ٢٩٥ م

الفصل السادس

القديس انبا بولا

مسقط رأس هذا القديس مدينة طيبة الوسطى ومات ابواه وهو في الخامسة عشرة من عمره . وتركا له ارثاً وافراً ومالاً كثيراً ساعده على التغذي بلبان المعارف والآداب العالية . وكان يسكن بعد موت والديه مع اخته وكانت متزوجة برجل غير مسيحي ومكث معها الى أن حدث الاضطهاد المريع الذي اثاره ديسيوس فاختفى في بيت لا يراه فيه احد كان ملكاً لزوج اخته ولم يمكث به طويلاً حتى انذرته اخته بان زوجها عقد النية على ابلاغ الحكومة بحقيقة حاله وذلك لكي يخلو له الجو فيتمتع بماله

الوفير. فخطر على بال القديس قول السيد له المجد «من احب اخاً أو اختاً او حقولا اكثر مني فلا يستحقني» وعليه وهب اخته جميع ما يمتلكه من حطام العالم كما انه فرق جزءاً من امواله على الفقراء والمساكين وصمم على المعيشة المسيحية والتفرغ للعبادة فودع اخته وداعاً ابدياً وجد في المسير حتى بلغ الصحراء وكانت على مسير يوم من النيل الى شمالي ممفيس ثم أخذ يبحث عن موضع مناسب له واخيراً عثر على خلوة تحيط بها كثبان وتلال فاتخذها داراً لاقامته طول الحياة

ولم يكن له في تلك الصحراء خليل الا الله والأرض تحته والسماء فوقه

واتفق ان القديس وجد في هذا المكان آلات جميلة الصنع كما وجد كثيراً من المعادن القديمة التي مرت عليها ازمان كثيرة فأخذ يبحث لمعرفة اصل هذه المعادن ومنفعة هاته الآلات فتيقن انها آلات لتزييف النقود من ايام الملكة كليوبترا. وسره في هذا الحين ان نخلة برزت من جوف

الأرض ونمت بجواره وكان يجري من تحتها نبع ماء صغير

اهتمام الله بقديسيه

وقد روى القديس انطونيوس انه بينما كان يتحادث مع القديس بولا في كيفية مجيئه الى هذه البرية اذ بغراب استقر بجانب القديس وكان يحمل في منقاره رغيفاً من الخبز فوضعه بين يدي القديس فقال له القديس بولا (مبارك الرب الذي أرسل لنا مأكلاً) ثم التفت الى القديس انطونيوس وقال له اعلم يا أخي انه من منذ ٦٠ سنة يأتيني هذا الغراب بنصف رغيف واليوم أتى برغيف كامل من أجلك. فشكراً لله الذي يهتم بقديسيه . وبعد أن صرف القديس انطونيوس ليلة كاملة مع القديس بولا في الصلوة استدعاه في اليوم الثاني وقال له اني عرفت منذ زمان انك مستوطن هذه البرية وقد وعدني الله بانك تزورني وتواريني التراب فقد وافى الزمان الذي أفارق فيه هذا الجسم البالي وانطلق الى الرب فاطلب منك ان تعود الى ديرك وتأتيني بالرداء الذي أعطاه لك اثناسيوس لتكفنني به وأخذ القديس

انطونيوس يزرف العبرات أسفاً على فراق هذا الاب الجليل ثم سأله ان يطلب من السيد المسيح من اجله حتى يسمح له بالانطلاق من هذه الدار . فأجابه القديس انه ينبغي لك ان تمكث مدة من اجل خير اخوانك ثم انبأه عن مجد الرهبنة في المستقبل وبعدئذ ودعه ورجع الى ديره فأحضر الثوب ورجع مسرعاً الى حيث القديس بولا كي يصرف معه جزءاً من الزمان في التعزية الروحية على انه رأى قبل وصوله جوقاً من الملائكة يرتلون وبينهم نفس القديس فحزن وبكى بكاء مراً . ولما دخل المغارة وجد جسده منتصباً فظن اولا انه لم يزل حياً ثم تأكد بمفارقته الحياة فدنا منه وقبل يديه وهو يبكي بكاء مراً ثم كفنه بالثوب الذي احضره معه حسب ما أوصاه القديس ثم اخذ يفكر في كيفية دفنه لانه لم يكن معه آلة تساعده على حفر قبر له . وبينما هو كذلك اذ ساق الله اسدين كبيرين ابتدآ يحفران في الارض حتى اكملا قبراً جميلاً ومن ثم جثوا امام القديس انطونيوس كأنهما يستأذنان بالانصراف فأشار اليهما اشارة الرحيل . ثم أخذ

جسد القديس وانزله الى قبره وواراه التراب وعاد الى ديره يحمل معه ثوب القديس المصنوع من الخوص وكان يلبسه في الاعياد السيدية

الجيل الرابع

تاريخ الاضطهاد

لا يخفى ان ديوكليتيانوس اشرك معه في الحكم صديقاً له يدعى مكسيميانوس وسلطه على ايطاليا وافريقا ورفعه الى منزلته وجعل مقر كرسيه في مدينة ميلان . وجعل ايضاً قسطنطينوس خلوروس قائد جنوده قيصراً على فرنسا واسبانيا وبريتانيا . وعين غاليريوس صهره حاكماً على بلاد ايليرا . وكان الاخير متصفاً بالخشونة والقساوة المتناهية وكان يكره المسيحيين ويتوقع لهم كل شر ولذا اخذ يسعى ضدهم وحصل اخيراً على اربعة اوامر من ديوكليتيانوس لقتك كل من لا يسجد للاصنام . وكان الامر الاول يتضمن خراب

معابد المسيحيين وحرق كتبهم . والامر الثاني قتلهم . وقد ذهب فريسة هذا الاضطهاد القديس المشهور جاورجيوس الكبادوكي احد متقدمي الدولة . والامر الثالث يقضي بالقبض على الاساقفة والحكم عليهم بالموت . وسبب هذا الامر هو انه حدثت بعض الفتن في بلاد ارمينيا وسوريا اتهم فيها النصارى فكانوا يسوقون بعضهم الى الموت والعذاب الاليم والبعض الى الاشغال الشاقة وفي هذا الاضطهاد جحد الايمان المسيحي مركلينوس اسقف رومية . ولكنه ندم اخيراً على ما فرط منه امام مجمع اجتمع في سينوسيا ونال عقيب ذلك اكليل الشهادة . وأما الرابع فمآله ان يقدم المسيحيون القرابين للاصنام وكل من تأخر عن ذلك عذب عذاباً شديداً وفي ذلك الوقت استشهد شماس من قيصرية اسمه ارمانوس وبيان ذلك انه لما سمع باشتداد المصائب بانطاكية انطلق اليها ليحامي عن المسيحيين الذين فيها ويثبتهم على الايمان المستقيم فلما دخل باب المدينة وجد جمهوراً يساقون كالاغنام الى هيكل الاصنام ليقدموا التماثيل الحجرية . فدبت فيه الغيرة

والايمان المسيحي وتقدم اليهم واخذ يحرضهم على الثبات بالايمان المسيحي فتأثروا من كلامه ورجعوا عما كانوا يفعلون. فلما علم الوالي بما فعل رومانس استشاط غضباً واستدعاه اليه ولما قدم بين يديه قال له الوالي لماذا اراك وقحاً فأجابه الشماس حاشا لي ان اكون وقحاً غير اني بنعمة سيدي سأعترف باسمه الى آخر نسمة من حياتي. فجلده بحبال معقدة برصاص ثم مزق وجهه بأظافر من حديد وهو مع ذلك لم تقعده عزيمته عن الاقرار بالسيد المسيح. ثم قال له الوالي ان مسيحك المصلوب قد كان الهاً بالأمس ولكن آلهة الوثنيين من قديم الزمان فقال له أرمانوس أتسمح لي ان اسأل هذا الطفل وهو على ذراعي أمه من هو الله الحقيقي فقال الحاكم نعم فنادى القديس الطفل وكان اسمه باروﻻس قائلا من هو الاله المستحق وحده السجود والعبادة فأجاب الطفل ان الله واحد هو السيد المسيح واما عبادة آلهة كثيرة لا تحس ولا تشعر فحتى الاولاد لا يمكنهم تصديقها. فتعجب الجميع من هذه الاعجوبة اما الحاكم فأمر

بجلده وحينئذ قالت له امه تقبل يا ابني هذه الكاس التي شرب منها اطفال بيت لحم ثم امر الحاكم بضرب عنقه فقبلته امه تقبيل الوداع الاخير وفرشت ازارها تحت رجليه فضرب ومات شهيداً

اما أرمانوس فان الحاكم امر ان يربط على خشبة وتضرم النيران تحته فكان كما اراد فقال أرمانوس للحاكم ان النار لا تفني حياتي . وقد تم ما قال فان الله ارسل وابلاً اطفأ النار في الحال فلما علم ديوكليتيانوس حينئذ بهذه الحادثة امر الحاكم باطلاقه ولكن الحاكم اجاب الامبراطور قائلا ان هذه الاعجوبة من فعل السحر ولا يجب أن نطلق أرمانوس لئلا تصبح كل المدينة نصارى فحكم عليه بالشنق

شهداء افريقيا

ولنذكر لمحة تاريخية عن شهداء افريقيا في ايام ديوكليتيانوس : —

ان أول الشهداء في عهد ديوكليتيانوس هم شهداء افريقا الذين بينما كانوا مجتمعين في بيت أحد الاخوة في يوم

الرب وهم يكسرون الخبز لاجل المناولة الطاهرة هجم عليهم قوم من الوثنيين وقيدوهم بالاغلال وساقوهم الى دار الحكومة وبينما كانوا سائرين فرحين مرنمين مسبحين الله وكان أحدهم يقول ما بالكم تقتلون الابرياء يا تعيسي الحظ. يارب ارحم. لك الشكر أيها السيد اعطني قوة لأحتمل باسمك أيها السيد المسيح ذلك العذاب الاليم. وقال آخر يا يسوع احفظ نفسي لئلا تفشل. اعطني قوة لأحتمل نار الحريق. ومن هؤلاء المظلومين سيدة تدعى فكتوريا أتى اخوها الوثني وأخذ يقنعها بالرجوع عن عبادة السيد ولما عجز عن اقناعها وخاف هو أن تجذبه الى حظيرة الايمان قال للحاكم انها مجنونة فاجابته بكل تعقل اني لست بمجنونة فقال لها الحاكم ألا تطيعين أخاك فقالت ان أخي هو الذي يحفظ وصايا والدي يسوع المسيح ومن ثم اقتنع أخوها بالايمان المسيحي واخذ يقول أنا مسيحي لا شيء يفصلني عن محبة المسيح

أخيراً أخذوا الجميع الى مكان العذاب. وعذبوهم بما

لا يتصوره ولا يحمله قلب انسان

وكانت الاضطهادات تنهال أيضاً على رؤوس نصارى فلسطين . واول من مات شهيداً في تلك البلاد رجل يدعى بروكوبيوس وتبعه كثيرون . منهم من مات قتلاً بالسيف. ومنهم من لاقى العذاب المريع. ومنهم من كان يطرح للوحوش المفترسة . ومنهم من حرق بالنار . وآخر لفت رجلاه بخرق مغموسة بالزيت وعلق في الفضاء ثم اشعلت فيه النار . ولما قرب من الموت طرحوه في البحر فغرق . وحكم على شهيد اسمه باولوس بالموت فلما أتاه الجلاد ليقطع رأسه طلب اليه ان يمهله قليلاً حتى يصلي فأمهله وصلى من اجل الذين تحت العذاب وكذا من اجل أمة اليهود حتى ترجع الى الرب يسوع

ومن اجل الحاكم الذي حكم عليه بالقتل ومن أجل الجلاد المزمع ان يقتله ثم تقدم الى السياف بكل هدوء فضربه بالسيف فمات لوقته . واستشهد أيضاً القديس بفيليوس أحد شيوخ قيصرية وكان عالماً حكيماً ويقال ان أحد اصحابه اتى الى الحاكم وطلب منه ان يأذن

له بدفن ذلك الشيخ الجليل فقال له الحاكم هل انت مسيحي فاجاب نعم بنعمة الله. فأمر الحاكم ان يلحق بصاحبه. فنال اكليل الشهادة وعند موته كان يقول يا ابن الله ارحمني

الموت من أجل المسيح

وكان في هذا الوقت رجل مسيحي يدعى سلوقوس كان في أول عمره جندياً اسرع حالاً وذهب الى بمفيليوس ليخبره بما جرى للشهيد السابق ولما رجع قبض عليه وساقه احد اصدقائه الى المحاكمة فحكم الوالي عليه بالاعدام مع تسعة آخرين

ويقال ان مسيحياً آخر يسمى يوليانوس اتى الى قيصرية ولما بلغه خبر قتل هؤلاء الشهداء اسرع حالاً الى المكان الذي كانت فيه جثثهم مطروحة واخذ يقبلها . فقبض عليه الوثنيون حالاً وأخذوه الى الحاكم فأمر بقتله. ولما سمع هذا الخبر اخذ يرنم لانه استحق ان يموت من اجل المسيح

ظهور المسيح لقسطنطين ونصره له

وحدث ان ديوكليتيانوس بعد ما استمر يحارب الفرس

مدة تنازل عن الكرسي سنة ٣٠٤ م ومات في تلك السنة مكسيميانوس صديقه بعد ما قضى مدة في اطفاء نيران الثورات في افريقيا وتعذيب المسيحيين بمصر. فانتقلت امبراطورية الغرب الى قسطنديوس خلوروس. وبقي امبراطوراً ١٥ شهراً ووقع مريضاً في مدينة يورك من اعمال انكلترا وكان ابنه قسطنطين في نيكوميديا فلما شعر بمرضه اسرع اليه سراً فسماه خليفة له وصادق على ذلك اهل بريتانيا ونادوا باسمه في سنة ٣٠٦ م. ثم زحف على فرنسا وبعد ما دبر امورها سار الى ايطاليا وكان المجلس الكبير غاضباً على قسطنطين فهيج الاهالي ضده ونادوا باسم مكسنتيوس بن مكسيميانوس امبراطوراً في رومة وبدأ يحارب قسطنطين وكان النصر الملك قسطنطين الذي صمم على منازلة عدوه في حرب جازمة فزحف بجنوده على ايطاليا ولما قرب من رومة رأى عدد جنود خصمه كبيراً فخاف خوفاً عظيماً وطلب الاستعانة بقوة اله ما ولكنه وجد ان آلهة الرومانيين كثيرة العدد ولكنها قليلة الفائدة. فعول على استمداد المعونة من إله

AUC - LIBRARY

النصارى وحده. وبينما كان يتقدم في مقدمة جيوشه رأى في أفق السماء صليباً من نور مرقوم عليه ما يأتي « بهذا تغلب » فاندهش هو وجميع قواده من هـذا المنظر العجيب وبينما هو يفكر فيما عسى ان يكون هذا المنظر اذ ظهر له المسيح في حلم ومعه علامة الصليب وقال له اصنع مثاله واجعله راية في حروبك . فلما استيقظ من النوم استدعى رجالاً ورسم صورة الصليب وامرهم ان يرسموا علماً بهذه الهيئة ففعلوا. وكان هـذا العلم عبارة عن حربة مصفحة من ذهب وفي وسطها عارضة بشكل صليب معلق بها منديل منسوج من ذهب مرسوم فيه صورة الملك وصور اولاده وفي أعلى الصليب اكليل فيه الحرفان الاولان من اسم المسيح . وانتخب لحملها ورفعها من محافظي رأس الملك خمسين رجلاً باسلا ثم سار بجنوده الى ساحة القتال فتاز على عدوه. وفيما كان جيش مكسنتيوس فاراً من امام جيوشه مرّ على جسر نهر تيبر فسقط الجسر وغرقت الجنود في النهر. ففتحت من ثم رومية ابوابها لقسطنطين فدخلها واكليل النصر على هامته . ثم صار مسيحياً

وتعمد عن يد سيلبسترس اسقف رومية. واما علامة الصليب فقد أثبت ظهورها اوسابيوس القيصري المؤرخ الشهير

جعل مدينة البيزنطية عاصمة المملكة

ولما علم الرومانيون بأن قسطنطين قد اعتنق المسيحية اغتاظوا منه وكان هو ايضاً حانقاً عليهم لاعمالهم السيئة ولتهافتهم على الملاهي والملاذ الجسدية فقصد ان يذلهم بهجر مدينتهم ونقل مركز المملكة منها الى مدينة البيزنطية لحسن موقعها لانها كانت مفتاح قارتي اسيا واوربا ومشرفة على ثلاث بحار وسماها باسمه

ولما علم الامبراطور قسطنطين بما يأتيه ليسنيوس قيصر الشرق ارسل اليه نصيحة بان يحسن التصرف مع كافة الخلق فلم يذعن للنصح والارشاد. فزحف قسطنطين على ليسنيوس وحاربه وظفر به وصار ملك الشرق والغرب. ثم فكر بعد تلك الحروب في خدمة الكنيسة فسلم امواله الى امه الملكة هيلانه وكلفها بأن تتوجه الى الارض المقدسة لبناء المعابد. فقامت بهذه الخدمة خير قيام وعند وصولها الى

القدس امرت بهدم هيكل الزهرة الذي شاده ادريانوس فوق الجلجثة وكشفت الاتربة عن قبر المخلص واستدلت بشيخ يسمى يهوذا على الموضع الذي فيه صليب المسيح الا انها وجدت فيه ثلاثة صلبان معاً ولما لم يمكنها ان تميز صليب الرب من سواه قدمت بمشورة الاب مكاريوس اسقف اورشليم وبحضور اعيانها الثلاثة صلبان ووضعت احدها بعد الآخر على امرأة كانت مصابة بمرض عضال ولما وضعت الثالث شفيت خالاً من مرضها (١) فكانت هذه الاعجوبة سبباً لايمان الكثيرين بالرب يسوع وعرفت الملكة صليب الرب

خطاب اسطاسيوس لمجمع نيقيا

ويذكر انه لما انعقد مجمع نيقيا القى اسطاسيوس اسقف انطاكية خطاباً يصف فيه الملك وهذا نصه :

«ايها الملك العزيز اننا نقدم الشكر لله العلي الملك السماوي الذي اعطاك الملك الارضي وانارك بنور الديانة المسيحية حتى هدمت اماكن الاصنام ومذابح الاوثان وابطلت

(١) الا ان المؤرخ زوسيموس قال انها وضعته على ميت فقام حياً

عبادة الآلهة الكاذبة وشيدت الهياكل المسيحية الشريفة لعبادة الاله الحقيقي . فتتضرع الى الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس اللاهوت الواحد والطبيعة الواحدة ان يبارك ملكك وسلطانك ويعظم عزك وشأنك ويطيل ايامك الصالحة لانه هو الذي الهمك عقد هذا المجمع فلذلك نحن اطعنا امرك ومثلنا بين يديك. وبما انك علمت القلاقل التي اثارها اريوس بنشر بدعته واذاعتها بين الملأ فنتوسل اليك ان يتقدم هو ونصراؤه بعرض هذا التعليم الجديد الغريب ونحن نفاوضهم ونجاوبهم من البشائر والرسائل ونبوات الانبياء وسائر اقوال الله الشريفة في كتبه المقدسة وحينئذ يتبين الحق من الباطل وتفعل ما تشاء». فردّ عليه بقوله

« ايها الآباء الموقرون انني اشكر الله لمشاهدتي محفلكم البهي واني اسر اعظم السرور لاني استحققت ان اجمع عددا وافراً من رؤساء كهنة المسيح للبحث في تعليمه القويم والدفاع عنه وانتم كلكم تعلمون اني بنعمة الله تركت دين ابي واجدادي واعتنقت الديانة المسيحية . فرأيت بعيني في

رائعة النهار علامة الصليب الكريم مكتوباً عليه « انني بهذا اغلب » وبمعونة سيدي يسوع المسيح الذي صلب لاجلنا قد غلبت اعدائي لا بسيفي ولا بقدرتي بل بقوته الالهية وعلامته الشريفة التي أمرت برسمها على الرايات والاعلام .وقد شاء الله ان يكف الاضطهاد عن المسيحيين بواسطتي ومنحت الحرية المطلقة لهم الا ان ابليس عدو البشر لما رآني مغتبطاً بهذا الدين الصحيح وذويه اثار بلبلة في كنيسة المسيح ليكدرني ويحزنني فلذا اطلب اليكم ان تبذلوا الجهد لاقناع الخصم بالبراهين الواضحة والحجج المقنعة وعلى كل حال احثكم ان تحافظوا على الوئام والمحبة نابذين الخصام والخلاف طبقا لاوامر الانجيل الشريف . واني وان كنت بينكم لا اتصدى لاحد منكم على الاطلاق لكني اتركم ان تبينوا آراءكم بملء الحرية وتمام الاختبار»

ومما يدل على شدة تواضعه انه أبصر اكاكيوس الاسقف الذى كان يعتقد انه لا يجوز أن تعطى السرائر الالهية لمن اخطأ خطيئة مميتة مهما ندم وتاب. فوجده الملك جالساً على بعد

فقال له لماذا أراك متنحيا يا أكاكيوس؟ فاجابه انه لايجوز ان اشترك مع الذين يقبلون الساقطين في الخطية اذ لا صفح لهم ولا غفران . فجاوبه الملك انصب سلما يا أكاكيوس واصعد وحدك الى السماء . ويؤيد سمو آدابه أنه كان يقول لو نظرت بعيني احداً من رجال الكهنوت في ريبة لسترته بارجواني

خلفاء قسطنطين

ولكن بعد ان توفي قسطنطين سنة ٣٣٧ أقتسم اولاده من بعده الملك . فاستولى قسطنطين على اسبانيا وفرنسا وبريتانيا وقسطنديوس على بلاد المشرق وقسطنس على ايتاليا وصقلية . وكانوا اشراراً محبين للملاذ الجسدية والشهوات البدنية حتى انهم قتلوا سبعة اشخاص من اعضاء عائلتهم خوفاً من مزاحمتهم لهم في الاحكام . وأخذوا يأمرون باعدام أفراد عائلتهم الواحد تلو الاخر حتى أفنوا من بقي منهم ماعدا ولدين وهما غالوس ويوليانوس إبني عمهما . وبعد ئذ وقع الشقاق بينهم وعادى أحدهم الآخر .

وانحاز قسطنديوس الى مذهب اريوس وأما قسطنطين فمع

كونه أظهر في بادىء الامر غيرة على المذهب الارثوذكسي.
ورد اثناسيوس من النفي اغواه الشيطان فعقد مجمعاً
ضد المذهب الارثوذكسي. ولما بلغه خبر قتل اخويه على
اثر فتنة استقل بالمملكة واشرك معه ابن عمه يوليانوس
وسماه قيصراً وارسله لاخضاع الشعوب الغريبة التي شقت
عصا الطاعة. فحاربهم يوليانوس وقهرهم وبذا استجلب محبة
الجيش له ولقب من اجل ذلك بلقب امبراطور سنة ٣٦٠
وزحف بعدئذ على العاصمة وكان قسطنطين حينئذ مشتغلاً
بالحرب مع دولة الفرس فمات قبل ان يصل يوليانوس اليه
وبموته سنة ٣٦٣ خلا الجو له وقد كان تعلم في مدارس
المسيحيين وعاشر شبانهم الا انه كان يجل الوثنيين لكنه لما
جلس على عرش الامبراطورية امر بارجاع الاساقفة الذين
نفاهم سلفه. وباعادة الاملاك المغتصبة من الكنيسة. وسمح
لكل شخص ان يعتقد بالله كما يشاء وان يتمسك بأي ديانة
يراها موافقة لضميره وكان يقصد بذلك ان يحمل شعبه على
كره قسطنطين الذي كان يعتقد ببدعة اريوس الهرطوقي.

ولكنه لم يلبث طويلاً حتى اخذ يضطهد المسيحيين في كل مكان . ومن فظائعه انه اغرى فرقة مسيحية بدراهم حتى تسجد للاصنام ولكن لما اتضح لهم ان القصد من ذلك هو ابعادهم عن الرب يسوع المسيح صرخوا بصوت واحد قائلين اذبحنا تقدمة ليسوع واعط ذهبك لمن يسر به فأمر بقتلهم ثم عدل عن ذلك وعفا عنهم . لانه علم ان المسيحيين لا يخافون من هول الموت واخيراً عول على اثقال كاهلهم بالجزية ولكن لم تطل مدة اضطهاده اذ قتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ م ويقال انه بينما كان يحشد الجنود لمحاربة امة الفرس اتى اليه القديس باسيليوس الكبير مع بعض الاساقفة فلما رآهم قال لهم لاي امر اتيتم فأجابه القديس باسيليوس اننا اتينا نطلب راعياً صالحاً يرعانا بالاستقامة والكمال فقال له الملك وان تركت النجار وجئت - يعني بذلك السيد المسيح له المجد - فأجابه القديس باسيليوس بكل شجاعة تركته يصنع لك تابوتاً لتوضع فيه لانك تركت المعرفة والفهم ونسيت الشريعة فقال له الملك قد قرأتها وحفظتها

فأجابه القديس اي نعم ولكنك لم تفهمها جيداً . فغضب الملك من جوابه وامر ان يقيد مع من معه وقال اذا عدت اجرعكم كأس المنون فقال له القديس ولكنك لن تعود فصرخ الملك وقال قيدوا هذا الجليلي الكذاب الذي يدعي النبوة . ويقال انه لما ذهب الى الحرب قتله اعداؤه فأخذ من دمه ورمى به الى الجو وقال « غلبتني ايها الجليلي »

ومن الحوادث التي تمت في ايام هذا الطاغية النبوة المتعلقة بخراب بيت المقدس . فانه يقال ان هذا الطاغية اراد ان يكذب نبوة السيد المسيح بخصوص بيت المقدس فدعا اليه رؤساء اليهود واعطاهم المال اللازم لتجديد بناء بيت المقدس كما كان اولاً وعلى ذلك بذل اليهود جهد المستطاع في اخراج المشروع فبعد ان انتهوا من رفع حجارة الجدران القديمة واخذوا في وضع اساس جديد حدثت زلزلة عظيمة ملأت الحفرة تراباً وبددت ادوات البناء ولكن بعد قليل رجع اليهود الى العمل من جديد ومن ثم خرجت من جوف الارض كرات نارية ورشقت الفعلة بالحجارة فماتوا في الحال

وعلى أثر ذلك آمن عدد كبير من اليهود بالسيد المسيح له المجد (١) وبعد ان مات يوليانوس سنة ٣٦٣ نودي باسم بوبيانوس امبراطوراً فعقد شروط الصلح مع دولة الفرس بعد ان اعطاهم اربع ولايات رومانية ولكنه توفي قبل وصوله الى العاصمة. فتولى من بعده فالنتيوس وكان على جانب عظيم من الخشونة الا انه اشرك معه اخاه فالنص وملكه على الشرق وكان هذا الاخير اريوسي المذهب فنهج على منوال يوليانوس الشرير. ومما يروى عنه انه قتل ثمانين رجلا من رجال القسطنطينية كانوا قد ذهبوا اليه ليشكوا له من المظالم التي وقعت على اخوانهم المسيحيين

ونفى اسقف الرها واقام بدله اسقفاً غير شرعي وامر احد قواده بان يرغم الشعب على التمسك به ولما لم يمكنه ارغامهم على ذلك امره بان يشتت شملهم ولكن الشعب كان يجتمع سراً لتأدية فروض العبادة بعيداً عن دار

---

(١) قد روى هذه الحادثة اميان المؤرخ اليهودي وايضاً القديس يوحنا فم الذهب والقديس غريغوريوس

الكنيسة فلما علم الامبراطور بذلك امر ذلك القائد بقتلهم جميعاً ولكن لما كان القائد طبع على عدم محبة سفك الدماء اشار على المسيحيين بأن لا يعودوا الى الاجتماع ثانية ولكن لم يعبأ الشعب بهذا الانذار ووالى الحضور كالعادة على انه من شدة خوف القائد من شر العاقبة اخذ جنوده وزحف عليهم قاصداً زجرهم وارهابهم واذ كان ذاهباً الى موضع التنفيذ وجد امرأة مسكينة خارجة من منزلها غير مبالية بغلق بابها وعلى يديها طفل وهي تعدو بسرعة شديدة واجتازت صفوف العسكر بلا خوف ولا وجل فاوقفها القائد وقال لها الى اين تسيرين أيتها المرأة فقالت الى موضع اخوتي المؤمنين قال الا تعلمين ان الملك امر بقتل كل من وجد هناك فقالت نعم اعلم ذلك ولهذا اسرعت كي اصل هناك حتى لا يفوتني اكليل الشهادة قال ولماذا تأخذين هذا الطفل معك قالت لكي يشترك هو ايضاً معي في مجد اطفال بيت لحم الذين قتلهم هيرودس

فتعجب القائد من هذه البسالة العجيبة وقفل راجعاً

الى الملك واخبره عن هذه الحادثة فأمر بابطال الاضطهاد

ولما توفي فالنتيانوس سنة ٣٧٦ م خلفه ابنه غراتيانوس ولما علم بقتل فالنص في حرب الغوثيين اشرك معه تاودوسيوس الاسباني في الحكم وولاه على الشرق وكان متصفاً بالفطنة وحسن السياسة فحارب الغوثيين واذلهم وقتل بعد ذلك من يد مكسيموس قائد جيوش الغرب الذي اغتصب المملكة لنفسه فاستجارت امرأة الامبراطور وولدها فالنتيانوس ولي العهد بتاودوسيوس فحامى عنها وحارب المغتصب وانتصر عليه وقبض عليه وقتله وسلم زمام الملك الى ولي عهد الدولة ولكن لم تطل مدته اذ مات سنة ٣٨٨ واستقل فالنتيانوس بالمملكة ثم مات سنة ٣٩٥ م بميلان

مقام خدام الله وجزاءهم

وهذا الملك أمر بابطال عبادة الاوثان ورخص للقديس ثاوفيلس البطريرك الاسكندري بتحويل معابد الاسكندرية الى كنائس ولكنه كان حاد الطبع فكان يتسرع في الاحكام . من ذلك انه ثقل الضرائب على اهل انطاكية

حتى انهم من شدة غيظهم منه رموا بتمثاله وتمثال امرأته على الارض فلما شعر بذلك أمر بهدم المدينة ودكها الى الحضيض ولكنه لما تدبر في الامر قليلاً ابطل عزمه . أما أهل المدينة فلما سمعوا بما لا بد ان يكون من العقاب الصارم جزاء تعديهم صاروا في اشد حالات الخوف والاضطراب وكان القديس فلابيانوس حزيناً مما حدث ولذلك كان يقضي الليل ساهراً في الصلاة طالباً من الله ان يحنن قلب الملك على شعبه واخيراً توجه هذا القديس بنفسه وطلب منه الصفح عما فرط من ابنائه فتأثر الملك من كلامه وقال له « امض يا ابتي الى شعبك وطمن مدينة انطاكية فاني قد عفوت عن ذنبها اكراماً لرب المجد الذي اتخذ صورة العبد وسأل الغفران لمعذبيه الذين غمرهم باحسانه اذهب لرعيتك فانها لا تطمئن بعد هذا العارض حتى تشاهد راعيها »

أما الحادثة الثانية فهي ان اهالي تسالونيكي عصوا وخالفوا الملك واحدثوا شغباً قتل فيه الوالي فلما بلغ الخبر

الى الامبراطور أمر على الفور بقتلهم جميعاً بدون تمييز بين البريء والاثيم فاهلك منهم في وقت قصير نحو سبعة آلاف نفس فكتب له امبروسيوس اسقف ميلان يبين فظاعة العمل وطلب منه ان يبادر الى باب التوبة لئلا يهلك واعلنه بعدم دخوله الى بيت الرب فلم يعبأ الملك بهذا التهديد وفي ذات يوم رآه الاسقف ذاهباً الى بيت الله فقال له بصوت عال « قف في مكانك أيها الملك لاني أراك لا تشعر بجسامة ذنبك أمعن نظرك جيداً . ألك عينان تستطيع أن تبصر بهما هيكل الله الرهيب ويداك ملطختان بدم ذكي » فاجابه الملك معتذراً عن ذنبه بداود الملك الذي زنى وقتل فقال له الاسقف حيث انك شابهته في اثمه فانك تماثله بتوبته فقبل الملك هذا الشرط ورجع الى بلاطه حزيناً على اثمه مدة ثمانية شهور

وأخيراً اعترف بذنبه جهاراً امام الاسقف في الكنيسة وطلب الصفح والغفران من الكنيسة وهو يهطل الدموع الغزيرة فتأثر جميع الشعب من هذا المنظر المؤثر

الفصل الاول

الانبا اثناسيوس

البطريرك العشرون

ولد بمدينة الاسكندرية من ابوين عريقين في المجد والشرف ومات والده قبل ان يصل سن الرشد وحين بلوغه احبت والدته ان تزوجه فأبى كل الاباء لانه قد تشرب بمبدأ الرهبنة الطاهرة. فلما شعرت امه بهذه الرغبة قدمته الى الآب اسكندر البطريرك ليكون تلميذاً له كما انها اعتنقت الديانة المسيحية على أثر دخول ابنها الى حظيرة الايمان القويم. اما اثناسيوس فلم يمض وقت طويل حتى رقاه الاب اسكندر الى رتبة الشموسية وقد اظهر غيرة كبيرة على المعتقد المسيحي لا سيما ما اورده من البراهين الدامغة ضد آريوس الشرير وفاه به امام مجمع نيقية وذلك بحضرة قسطنطين الكبير مما جعل الملك يشهد له بقوة العارضة وسلامة الفكر. فقد أيد في دفاعه أزلية الابن من ابيه وروح قدسه

توليته بطريركاً وتجاربه

وحدث بعد ذلك ان القديس اسكندر البطريرك توفى بعد رجوعه من مجمع نيقية وكان قد اوصى قبل موته بان يولوا من بعده أثناسيوس فعملوا حسب وصيته ورقوه الى رتبة البطريركية . ولكنه ما عتم ان تولى ادارة مهام وظيفته العالية الا واحاطت به التجارب من كل جانب . وسبب ذلك ان قسطنديا شقيقة الملك اوصت اخاها وهي على آخر نسمة من الحياة بكاهن آريوسي كان أبا ذمتها . فلما حصل هذا الكاهن على التفات الملك بدأ يقنعه بمساعدة أوسابيوس اسقف قيصارية بأن آريوس نفي بغير ذنب ولا جريرة . وعلى ذلك اعاده من منفاه وارسله الى الاسكندرية وبيده رسائل من الملك ومن اساقفة اورشليم يطلب فيها ان يقبله البطريرك في أحضان الكنيسة . ولكن البطريرك أبى قبوله وارسل الى الملك رسالة يعرفه فيها انه لا يمكنه قبول من انكر الوهية السيد المسيح . فظن الملك أنه يفعل ذلك حقداً على آريوس فأرسل يتهدده بالنفي وكان حزب ملیتيوس قد

حضر أيضاً من الاسكندرية ووشى باثناسيوس مدعياً عليه انه يجمع ضريبة من المصريين ويدفعها الى فيلومنتوس عدو الحكومة وأقاموا ثلاثة شهود زور عليه فاستدعى الملك اثناسيوس ليدافع عن نفسه وعلى ذلك توجه اثناسيوس الى الملك وكذب أقوالهم بالدليل الصحيح فسر الملك منه واعاده الى كرسيه محفوفاً بالتجلة والاكرام ولذا اخذوا يلفقون عليه ويشون به من وقت لآخر ولكن الملك ضرب بافترائهم عرض الحائط لسابق كذبهم وبهتانهم وفي الوقت ذاته احال واقعة الحال على اخيه دلماتيوس وكان وقتئذ في مدينة انطاكية فسافر القديس وقتئذ الى انطاكية وهناك ابطل دعواهم وابد براءته من هذه التهمة الكاذبة . ولشدة سرور الملك من ظهور الحقيقة ودعه بكل وقار واحترام وزوده بأمر ملوكي الى بلاده . ولكن الحزب الاريوسي والحزب الميليتي دبرا ضده مكيدة أخرى وهي انهم استدعوا الاساقفة الى قيصرية وعقدوا مجمعاً لمحاكمته فلما احس اثناسيوس بمكيدتهم أبى ان يحضر في المجمع ولكنه أجير من قبل الملك

على الحضور فلما حضر أوقف أمام المجمع كمجرم فلما رأى ذلك الاساقفة الاورثوذكسيون حزنوا وخرجوا من المجمع فأخذ اخصام اثناسيوس يسردون ضده الوقائع الكاذبة . فقالوا ان مكاريوس من كهنته كسر كاس التقديس لقس يدعى اسكيرا وهدم مذبحه بامر اثناسيوس ولكن ظهر بطلان هذه الدعوى فان اسكيرا نفسه بعد ان انضم الى الحزب الاريوسي رجع وندم على ما فرط منه واعترف بتزوير ما ادعاه أخصام اثناسيوس

ثم ادعوا عليه انه قتل أسقفاً يسمى ارسانيوس من أساقفة القطر المصري وكانوا قد اتفقوا مع هذا الاسقف بالاختفاء عن الابصار وتظاهروا بالتفتيش عليه واذاعوا في أرجاء البلاد ان اثناسيوس قتله جزاء احترافه بصناعة السحر ولاثبات دعواهم الباطلة اشاعوا انه قطع ذراعه ووضعه في علبة وكانوا قد صنعوا علبة ووضعوا فيها ذراعاً لرجل ميت ولكن ظهر ارسانيوس بعد قليل فاتضح كذبهم

ثم انهم اغروا احدى النساء العاهرات لكي تذهب في وسط المجمع وتدعي ان اثناسيوس فضّ بكوريتها رغماً

AUC - LIBRARY

عنها . فلما ذهبت الى المجمع نهض تيموثاوس احد كهنة الاسقف المذكور وقال لها كيف يمكنك ان تتجاسري على ان تقولي اني نزلت في بيتك واني قهرت ارادتك بفعل الدنس ؟. ولما لم تكن المرأة تعرف اثناسيوس شخصياً ظنت انه هو المخاطب لها فاجابته بجسارة اي نعم انك انت بذاتك قد اغصبتني ودنست عرضي . فاتضح للحال كذب المرأة وتلفيق الدعوى ولا تسل عما اصاب هؤلاء الادعياء من الخجل الشديد . ولما رأى اثناسيوس ان المجمع ضده بلا سبب الا الحقد ترك المجمع وذهب الى القسطنطينية ليرفع شكواه للملك فانتهز اعضاء المجمع فرصة غيابه وحكموا عليه بالعزل من كرسيه وكتبوا قراراً بذلك وارسلوه الى سائر الكراسي ولما وصل اثناسيوس بعد الجهد الجهيد الى الملك طلب منه ان يحضر لديه جميع المدعين عليه حتى يعرف براءته بنفسه فاجابه الى طلبه ولكن اعداءه لفقوا تهمة جديدة عليه قالوا فيها ان اثناسيوس قصد ان يمنع كل ما كان يرد عن مصر الى العاصمة من القمح والشعير وقد صدقها الملك فامر

بنفي اثناسيوس الى فرنسا فخضع اثناسيوس لامر الملك وذهب الى منفاه وهنالك قابله اسقف تلك الجهة وقسطنطين الصغير قائد الجنود الغربية بمزيد الحفاوة والاجلال.

جزاء اريوس لتعديه على حقوق الرب

وحدث بعد ذلك ان الاريوسيين سعوا لدى الملك لينصب آريوس على الكرسي الاسكندري فاصدر امره بذهابه اليها ولما بلغ الخبر الشعب الاورثذكسي أقفلوا الكنائس في وجهه واحدثوا شغباً في المدينة وشعر الوالي بسوء المغبة فامر بمبارحته من القطر المصري حالاً فذهب الى القسطنطينية وتوسط لدى الملك ليجعله شريكاً للقديس اسكندر بطريرك الكرسي القسطنطيني الامر الذي حير البطريرك كثيراً. فاشار عليه القديس يعقوب ان يصلي سبعة أيام هو وسائر كهنته والله يصنع بعبده ذلك ما يحسن في عينيه فعمل بمشورة هذا القديس وفي اليوم السابع الذي كان هو اليوم المعين لأريوس ان يشترك مع البطريرك في الخدمة الرسولية حضر أريوس باحتفال عظيم تتقدمه العساكر الى الكنيسة

AUC - LIBRARY

وكان البطريرك في تلك الساعة جاثياً على ركبتيه يذرف العبرات والدموع امام الهيكل المقدس وما كاد اريوس يصل الى باب الكنيسة حتى أصابه بغتة اسهال شديد انزلت امعاءه كلها وخرجت روحه الشريرة فعرف العالم أجمع ان هذا كان جزاء تعديه على حق الرب يسوع المسيح

رجوع القديس اثناسيوس الى كرسيه

وفي ذلك الوقت طلب الشعب الارثوذكسي الاسكندري من القديس انطونيوس ان يتوسط لدى الملك في ارجاع اثناسيوس الى كرسيه فكتب رسالة الى الملك يلتمس فيها رد القديس اثناسيوس فأجابه الملك بان هذا الرجل على جانب عظيم من الكبرياء ولكنه علم بعد قليل ما كان من أمر اريوس فندم وعزم على ارجاعه ولكن ادركته المنية قبل انفاذ رغبته واقتسم من بعده ولداه المملكة فملك قسطنس الاريوسي على الشرق وأما قسطنطين الارثوذكسي فملك على الغرب فاستدعى في الحال اثناسيوس وطيب خاطره وارجعه الى كرسيه كما كان أولاً .

ولما علم بذلك حزب اريوس دبروا له مكيدة حتى يخلعوه من كرسيه وتساعدوا على ذلك باسقف رومية. وخوى تلك التهمة انه كيف جاز رجوع هذا البطريرك بلا قرار مجمع. فارسل الاسقف الروماني بصورة الخطاب المقدم الى أساقفة مصر ليعدوا رأيهم فيه فاجتمع ٨٠ اسقفاً وقرروا تكذيب ما عزي الى بطريركهم من المطاعن وارسلوا صورة القرار الى الاسقف الروماني. ولكن الاريوسيون عقدوا مجمعاً ضد اثناسيوس وحكموا عليه بالخلع من كرسيه واقاموا بدله رجلاً شريراً اسمه غريغوريوس الكبادوكي واوفدوه بجند الى الاسكندرية تحت قيادة معتمد الملك وقد انتهز اليهود فرصة وجود العسكر ورشوهم حتى يفتكوا بافراد الشعب المسيحي وفعلاً أتوا من الموبقات ما تحمرّ له وجه الانسانية خجلاً اذ دنسوا أماكن العبادة المقدسة وفتكوا بالعذارى. وهجم البطرك الدخيل على كنيسة يوم جمعة الآلام وقبض على اربع واربعين عذراء عراهن وضربهن بالسياط وقتل عدداً وفيراً من الشعب قاصداً بذلك ان

AUC - LIBRARY

يقتل اثناسيوس ضمن هذا العدد ولكن اثناسيوس كان قد توجه الى رومية ليبرر ذاته مما لحق به من الاهانة والازدراء وفعلاً تشكل مجمع مؤلف من سبعين اسقفاً للنظر في قضيته وقد دعا المجمع اساقفة مجمع انطاكية فابوا الحضور وعلى ذلك نظر هذا المجمع في قضية اثناسيوس فحكم ببراءته استناداً على قرار مجمع الاسكندرية

وحدث في هذه الاثناء ان أساقفة شرقيين اجتمعوا في مدينة انطاكية وعقدوا مجمعاً استمر ثلاث سنوات وسنوا خمساً وعشرين مادة صدقت عليها بعد ذلك المجامع المسكونية وحكموا على بدعة اريوس الا انهم لم يذعنوا لدستور الايمان النيقاوي فانعقد مجمع آخر من الغربيين والشرقيين في مدينة ميلان رفض قرار المجمع الانطاكي واثبت دستور الايمان المذكور وعلى ذلك انشقت الكنيسة الى قسمين الامر الذي جعل القيصرين قسطنطين وقسطنس ان يتفقا على عقد مجمع مسكوني في (سرديكي) لحسم النزاع والاختلاف الواقعين بين الكنائس ويرجع السلام والوئام الى احضان

الكنيسة . ولما اجتمع الاساقفة من كلا الفريقين تحت رئاسة أوسيوس الشيخ الجليل الاسقف الاسباني رغب الغربيون ان يكون اثناسيوس عضواً في المجمع فأنكر عليهم الشرقيون ذلك فاشتد الخلاف بين الفريقين وقد افترق على أثر ذلك الاريوسيون من المجمع وذهبوا الى فيليبه واجتمعوا بصفة مجمع اثبتوا فيه قرار مجمع انطاكية وحكموا على اثناسيوس واخوانه . اما مجمع سرديكي فقد أثبت عكس تلك الاحكام واعطى حق استئناف الحكم على الاساقفة ليوليوس اسقف رومية نظراً لما اتصف به من الثبات على الايمان القويم وحكم ايضاً بعزل غريغوريوس الكبادوكي وامر برجوع اثناسيوس الى كرسيه

فلما شعر مجمع فيليبه بذلك الحكم اهاج قسطنس ضد اصحاب الاعتقاد القويم فأمر بنفي كثيرين منهم وامر والي مدينة الاسكندرية ان يضع حرساً على ابواب المدينة كيلا يدخلها اثناسيوس . فلما علم بذلك الرسول انفرد في احدى مدن تركيا الى ان امر برجوعه الملك قسطنطين الى كرسيه

AUC - LIBRARY

وكتب رسالة الى اخيه في انطاكية يعلمه بذلك وتوعده بالحرب ان لم يرجعه الى كرسيه. ولما كان قد ذهب اثناسيوس الى مدينة انطاكية ليقابل الملك طلب اليه الملك ان يعطي كنيسة واحدة للشعب الاريوسي بالاسكندرية فقال له نفعل ذلك بشرط ان يعطونا كنيسة واحدة في انطاكية فتعجب الملك من هذا الجواب السديد ورجع عن طلبه واخيراً أمر باعادته الى كرسيه. وقبل ان يبلغ الى مدينة الاسكندرية كان قد توفي الدخيل الكاذب ولما شعر الشعب الاسكندري برجوع بطريركهم اليهم احتفوا به احتفاء كبيراً ومن ثم أخذ يحارب تعليم أريوس حتى استقل قسطنس بالمملكة فبدأ يحارب المستقيمي الرأي ولاسيما الآب اثناسيوس بعقده ضده مجمعاً وطلب من نواب البابا واعضاء المجمع ان يحكموا ضده. وعقد مجمعاً آخر في مدينة ميلان مؤلفاً من ٣٠٠ اسقف نفى جميع الذين لم يقبلوا الحكم على اثناسيوس ومن بينهم البابا ليباريوس. وقد أقام رجلاً جباراً اسمه جاورجيوس على الكرسي الاسكندري وأرسل في الوقت

ذاته الى والي مصر بمنع المساعدة التي كانت تعطيها الحكومة الى البطريكخانة في ايام والده وأوصاه ان يسلمها للاريوسيين

فلم يعبأ القديس بذلك بل ظلّ سائراً على منواله الاصلي في اتمام واجباته الدينية ولكن في اثناء هذا الوقت حضر القائد سيرنيوس فاشاع عن نفسه انه آت من قبل القيصر لطرد اثناسيوس فلما أحس القديس بهذا الخبر لم يخف ولم يهن عزمه لانه عرف انه متكل على القائد الذي لا يغلب. ويقال انه بينما كان يؤدي فروض الخدمة المقدسة حضر القائد ومعه كتيبة من الجنود شاهري السلاح فلما رأى ابناء الكنيسة ان الخطر محدق براعيهم الطاهر أوعزوا اليه ان يهرب فاجاب القديس حاشا لي ان أهرب لانني لست أفضل من ابناء الكنيسة المقدسة وبينما هم في الكلام اذ دخل القائد ومعه الجنود فنزل القديس من على الكرسي ومرّ في وسط العساكر وخرج من بينهم ولم يعرفوه وأما الجند فقتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم جماً غفيراً ومن ثم أرسلوا للملك يتشكون من الجور الذي لحق بهم من يد سيريانوس

AUC - LIBRARY

ولكن الملك عوضاً عن ان يعير طلبهم جانب الالتفات فرح بما أتاه ذلك القائد . أما القديس اثناسيوس فذهب الى برية تيباياس وانفرد فيها متعبداً لله تعالى وقد تسنى له ان ألف عدة مقالات فند فيها آراء اريوس الارطوقي وقضى خمس سنوات مبتعداً عن كرسيه

وحدث ان الاريوسيين انشقوا على ذواتهم فعقد الملك مجمعاً في سيرميون قرر فيه بان يوفق بين الارثوذكسيين واخصامهم بحذف لفظة الجوهر من القانون النيقاوي واجبر ليباريوس ان يمضي عليه فعقد في الحال الارثوذكسيون مجمعاً في اجان اثبتوا فيه الدستور النيقاوي

وعلى اثر ذلك اجتمع اصحاب المذهب المتوسط وعقدوا مجمعاً في (انكيرا) أيدوا فيه دستور مجمع انطاكية ومجمع سرميون ولما اجتمع المجمع أيد قرار انكيرا وفي هذه الاونة سئم البابا عيشة النفي وسلم بقرار المجمع الاريوسي ووقع عليه ولذلك رجع الى كرسيه في الحال. ولم يرجع القديس اثناسيوس من النفي الا بعد قسطنس وذلك حينما تولى

يوليانوس على تخت المملكة واباح الحرية المطلقة لجميع الاساقفة وامر برجوع الاساقفة من المنفى فرجع القديس اثناسيوس الى بلاده فوجد الدخيل ميتاً بالقتل فبدأ يخرج من وسط الكنيسة البذار الشريرة التي زرعها هذا الدخيل في مدة غيابه فارجع مجد الكنيسة كما كانت عليه أولا واعتقد يوليانوس انه لا يمكن ان يهدأ له بال الا اذا انتصر على اثناسيوس فكتب رسالة الى والي مصر يأمره فيها بقتل اثناسيوس واذ قد علم القديس بهذا الخبر بروح الله عزى أولاده وقال لهم انه ستأتي مصاعب عليّ ولكن ستبدد عن قريب وفي الحال ركب سفينة وقصد ان يهرب الى بلاد طيبه فلما علم الحاكم بهروبه اسرع بجنوده في مركب آخر وسار في أثره ولما كاد ان يدركه امر القديس بألهام الهي رئيس السفينة ان يحول الدفة الى ناحية الاسكندرية فتقابلت سفينته مع سفينة الحاكم فصرخ الحاكم وسأل الذين في السفينة هل صادفتم في طريقكم سفينة تقل اثناسيوس فاجابوه أي نعم ان اثناسيوس لم يكن بعيداً منك الا

AUC - LIBRARY

بمسافة وجيزة وهو سائر الى طيبه فاسرع الحاكم ليدركه

انقضاء الاضطهاد وميل الملك للقديس

أما اثناسيوس فقد وصل الى المدينة واختفى فيها حتى انقضت مدة الاضطهاد وكان قد تولى يوبيانوس على سرير الملك واعطى الحرية للاساقفة وحرر في الوقت ذاته رسالة الى القديس اثناسيوس يرجوه ان يرسل له معتقد الكنيسة الارثوذكسية فحرر له رسالة بحقيقة هذا المعتقد ممضياً عليها منه ومن أساقفته فلما قرأها الملك اتقد قلبه بحب هذا المعتقد وأرسل تواً الى القديس يستدعيه اليه ولكن الاريوسيون دبروا ضده المكائد الكثيرة حتى يوغروا قلب الملك عليه ولكن أصم اذنيه حتى لا يسمع لهم أي شكوى لانه عرف ان القديس فيه روح الله ولذلك أمر بان يتجول في كل كرسيه ليتفقد رعيته ويزودهم بالنصائح الغالية على انه بعد قليل صدر أمر فالنص الاريوسي بنفي جميع الاساقفة الذين عفا عنهم يوليانوس فبناء على ذلك أراد والي مصر ان يقبض على القديس اثناسيوس فلما علم أعيان الشعب توجهوا الى الوالي

مدافعين عن اسقفهم واعلموه ان الامر الذي في يده لا يقضي على اسقفهم بالنفي لان اثناسيوس لم يرجع بناء على أمر يوليانوس بل رجع بناء على أمر يوبيانوس فلم يقتنع بهذا الدليل وأراد القبض عليه فتجمهر الشعب للدفاع عن بطريركهم ولما رأى ذلك الوالي خاف العاقبة فعدل عن رأيه

مآثر القديس

أما القديس فخاف عاقبة غدر الوالي ولذلك توجه الى قبر أبيه واختفى هناك اربعة شهور ولم يرجع الا بأمر ملوكي واستمر يدير شؤون رعيته مثابراً على الوعظ والارشاد كل أيام حياته. ومن أعظم مآثره انه أدخل الديانة المسيحية في البلاد الحبشية وتفصيل ذلك بالايجاز: هو ان رجلاً فيلسوفاً يسمى ميروبيوس من صور بعد ما جاب ممالك عديدة ومعه ابناء أخيه فريمونات وايدوس ورغب في الرجوع الى بلاده واذ كان سائراً بمركبه الى وطنه وقفت المركب على ميناء لتأخذ قوتاً للركاب فهجم عليها اللصوص وقتلوا من فيها جميعاً ماعدا فريمانوت وايدوس فانهما اختبآ تحت شجرة كبيرة فلما

AUC - LIBRARY

وجدهما اللصوص ورأوهما جميلي الصورة استبقوهما احياء واخذوهما الى ملك الحبشة فأخذهما الملك عبيداً له ولكن لما رأى حسن اخلاقهما وجميل طباعهما اطلق لهما عنان الحرية. ولما مات الملك وكان ولي العهد لم يبلغ سن الرشد بعد انتدبتهما الملكة لان يكونا مساعدين لها في تدبير مهام الدولة. ومن ثم صارت اعمال جميع المملكة من حل وربط في يدي هذين الفاضلين. وقد انتهزا فرصة اشرافهما على زمام الحكومة ونشرا بشرى الخلاص في جميع انحاء البلاد كما انهما سهلا على التجار النصارى الاتجار في تلك البلاد على شرط ان يعلموا الشعب الدين المسيحي. ولما بلغ ولي العهد سن الرشاد اعتزلا الاعمال بعد ما خدما رعيته اجل الخدم ولذلك تعلق بهما الشعب تعلق الغريق بمن انقذ حياته من مخالب الموت. ومن ثم رجع ايدوس الى بلاد صور وارتسم كاهناً اما فريمونات فتوجه الى البلاد المصرية وتقابل مع القديس اثناسيوس واخبره بكل ما فعل الرب هناك وطلب منه ان يرسل اسقفاً الى المملكة الحبشية

فلبي القديس طلبه ووجد أن فريمونات كفء للقيام بشؤون هذه الوظيفة العالية فرسمه اسقفاً عليها . وبذلك اصبحت الكنيسة الحبشية تابعة للكنيسة القبطية الى هذا الوقت

مجمل حياة القديس وتاريخ وفاته

وبالايجاز عاش القديس اثناسيوس مثالاً للتقوى وقدوة صالحة لمحبي المسيح . وقد توفاه الله في سنة ٣٦٤ م في اليوم السابع من شهر بشنس وكانت مدة رئاسته ٤٦ سنة وخمسة عشر يوماً انقضت في جهاد مستمر حتى استحق ان يقول ما قاله بولس الرسول « جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعي »

الفصل الثاني

الانبا بطرس

البطريرك الحادي والعشرون

لما توفي القديس الانبا اثناسيوس بابا الاسكندرية انتخب لاجل الرئاسة على الكرسي المرقسي احد تلامذته

AUC - LIBRARY

المسمى بطرس وقد اتصف بالكرم والذكاء . وبعد جلوسه على الكرسي اظهر غيرة شديدة من اجل نمو الفضيلة والدين في نفوس اولاده . وشرع كسلفه في الرد على اصحاب البدع السخيفة مقتفياً اثر معلمه. على ان احد رجال الحكومة المدعو لوكيوس ابتدأ يشن الغارة ضده وكان يساعده في ذلك صديق له يسمى داديانوس ولكن القديس صلى الى الله تعالى وطلب ابعادهما عنه فسمع الله لطلبه اذ امر الملك بنفيهما خارج المدينة واخذ البطريرك من بعدهما يعلم تعاليم الله الصادقة الى ان انتقل الى دار السعادة والخلود

الفصل الثالث

الانبا تيموثاوس

البطريرك الثاني والعشرون

كان هذا القديس على جانب عظيم من التقوى والفضيلة وقد تعلم اصول الدين على يد الانبا اثناسيوس وكان من المساعدين له ايام جلوسه على الكرسي وهو الذي كشف

للمجمع (الصوري) المكيدة التي دبرت ضد معلمه الطاهر من رجال البدع بأنه افتض بكارة عذراء

وفي ايام هذا القديس ظهرت بدعة مكدونيوس بطريرك القسطنطينية الذي ذهب على غير هدى الى ان الروح القدس عمل الهي منتشر في الكون متميز عن الآب والابن. وبناء على هذه العقيدة الفاسدة دعا الملك اساقفة المملكة الى عاصمة بلاده لتشكيل مجمع مسكوني فحضر ١٥٠ اسقفاً اشهرهم صاحب الترجمة وقد امتنع نواب البابا عن الحضور في هذا المجمع ومع كل ذلك فقد وافق كل الموافقة على اعمال هذا المجمع. ونظرت في هذا الحين بدعة مكدونيوس فاثبت الاساقفة ازلية الروح القدس ومساواته للاب والابن وعدم مخلوقيته وقد اضيف هذا التعليم القويم على القانون النيقاوي ونظر هذا المجمع ايضاً بدعة ابوليناريوس اسقف اللاذقية ابن ابوليناريوس الاسكندري اذ كان قد انكر من ناسوت المسيح نفسه البشرية واعتقد ان اللاهوت مارس وظيفة النفس العاقلة واستنتج من ذلك ان اللاهوت امتزج بالناسوت واحتمل

AUC - LIBRARY

مه الآلام والصلب والموت وقد اعتقد بالتفاوت بين الاقانيم الثلاثة فحرّم المجمع هذا التعليم الكاذب وسنّ المجمع عدة قوانين تختص بنظام الكنيسة وادارتها واهم ما جاء في تلك القوانين هو وجوب عدم تعدي اسقف على آخر في موضع ابروشيته وقد ورد في نص القانون الثالث ما يأتي (اما اسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد اسقف رومية لكونها (اعني القسطنطينية) رومية جديدة)

ومن هذا القانون يتضح عدم وجود الرئاسة البطرسية اذ أن المجمع اجتمع بناء على امر الملك لا بناء على أمر البابا والامر الثاني يثبت عدم تفضيل اسقف على آخر واستقلال كل ابروشية بنفسها والامر الذي يستلفت النظر هو اعطاء الكرامة لبطريرك القسطنطينية كما لبطريرك رومية وان تفضيل الواحد على الآخر محض اختلاق

الفصل الرابع

البابا ثاوفيلس

البطريرك الثالث والعشرون

اختار الشعب بعد وفاة الآب السابق الذكر البابا ثاوفيلس وقد عاصر تاودوسيوس الكبير الذي كانت امياله منصرفة الى مساعدة الدين المسيحي وقد اخذ على عاتقه تطهير البلاد من بدعة اريوس حتى انه اصدر امراً ملوكياً يحتم فيه على كل مسيحيي العالم بان يتبعوا اعتقاد كنيستي رومية والاسكندرية وكان من وراء ذلك ان ازدهت المسيحية وانتشرت في كل العالم وقد كثر مسيحيو الاسكندرية حتى اصبحت الكنائس غاصة بالعباد فلما رأى ذلك البابا ثاوفيلس اراد ان يحول الهياكل الوثنية الى كنائس لعبادة الله الحي فصادرته الحكومة وعندئذ كتب رسالة الى الامبراطور تاودوسيوس راجياً اياه بان يسلمه المعابد المذكورة فاجابه الى سؤاله وامر الوالي بان يسلمه اياها ولكن تسبب عن ذلك ان بعض

AUC - LIBRARY

الرعاع احدثوا قلاقل كثيرة فقتلوا عدداً كبيراً من المؤمنين خصوصاً عند ما ارادوا ان يستولوا على هيكل سرابيس المشهور لكونه على جانب عظيم من المهابة والجمال لان حجارته كانت من الرخام والمرمر وحيطانه من الداخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب الابريز. وكان في وسط هذا الهيكل صنم كبير مصنوع من الخشب ومغطى بالمعادن الثمينة ومطعم بحجارة كريمة وكان اسود اللون. فبينما كان المسيحيون ينقلون الاصنام من داخل المعبد تجمهر جمهور من الوثنيين ضد المسيحيين واوسعوهم ضرباً وقتلوا منهم خلقاً كثيراً. فلما علم الامبراطور بذلك اصدر امره بهدم باقي الهياكل حتى لا يبقى سبب للنزاع فيما بعد. فلما علم بذلك جمهور المسيحيين ذهبوا الى هيكل سرابيس لاجل مشاهدة هدمه ولكن العامة اذ كانت عقولهم لم تخل من خرافات اجدادهم خافوا ان يتقدموا اليه فتقدم جندي بيده فاس وصعد الى اعلى الصنم فضربه وكسر فكه فخرج منه جملة فيران معششة داخل فمه وتقدم الآخرون فكملوا عليه

واحرقوه وذروا رماده في الهواء وبعد ذلك اصلح وجعل كنيستين

وقد شيد هذا الآب عدة كنائس منها كنيسة على اسم القديس العظيم يوحنا المعمدان وكنيسة باسم اليشع النبي وقد انشأ ايضاً للرهبان دير المحرق الذي بمديرية اسيوط على اسم العذراء مريم والذي ساعده على ذلك هو انه وجد كنزاً كبيراً

بدعة افوديوس

وقد ظهرت في ايام هـذا القديس بدعة انتشرت بين رهبان الاسقيط مآلها ان الله ذو صورة بشرية واعضاء جسمية وكان رئيس هذه البدعة افوديوس الذي كان من بين النهرين

عزم الرهبان على الفتك بالبابا لمخالفته لهم في اعتقادهم

وقد شعر في ذلك الوقت رهبان الاسقيط ان البابا يخالفهم في هذا المعتقد الفاسد فنزلوا من ديرتهم وجاؤا الى مدينة الاسكندرية حتى يفتكوا به عند اول فرصة فلما ابصروه مقبلا من بعيد تحفزوا للهجوم عليه اما هو فلما علم بما تكنه صدورهم له من الحقد ارتفع عن الارض وخاطبهم باللطف

AUC - LIBRARY

وقال لهم في خطابه اني انظركم كمن ينظر وجه الله فهدأت هذه الجملة الملتبسة افكارهم لانهم ظنوا انه وافقهم على ما يدعون

الشقاق بين رهبان مصر بسبب تأليفات أوريجانوس

وحدث بعد ذلك ان الاريوسيين كانوا يقتبسون من مؤلفات اوريجانوس ما يثبتون به عقائدهم. فلما علم بذلك أصحاب المذهب الارثوذكسي حرموا قراءتها فحدث بسبب ذلك انشقاق بين رهبان مصر. فكان رهبان الاسقيط يحرمون قراءتها بالكلية اما رهبان جبل نيتريا فقد كانوا مولعين بقراءتها. ومن ثم تألف وفد من رهبان جبل الاسقيط لاجل مقابلة البطريرك واقناعه بوجوب حرمان كل من يتمسك بتأليف اوريجانوس فلما مثلوا بين يديه اقتنع بصحة فكرهم وفي الحال أمر بعدم قراءتها وحرمان كل من يتمسك بها

فلما سمع بعض الرهبان الذين كانوا يسكنون دلو البطريركية وهم من محبي مؤلفات اوريجانوس استشاطوا غضباً واحدثوا اضطراباً ضد البابا. فلما رأى منهم ذلك طردهم من هنالك فتوجهوا توآ الى رهبنة نيتريا وتعصبوا معاً ضد

بطريركهم ثم ارسلوا وفداً منهم الى ديوسقوروس اسقف
ارمويوليس وادعوا على البطريرك انه يحب العيشة الرخوة
فقبل شكواهم وتحزب معهم . فلما شعر بذلك البطريرك حرم
الاسقف ومن معه ومن ثم التجأوا الى يوحنا فم الذهب الذي
كان مولعاً بقراءة مؤلفات اوريجانوس فقبلهم ورحب بهم
ووعدهم بالمساعدة . وقد كتب القديس يوحنا رسالة الى
الانبا ثاوفيلوس يسترضيه عنهم ولكن الرهبان لم يكتفوا
بهذه المساعدة بل استغاثوا بافدوكسيا الملكة وتوسطوا بها
عند اركاديوس ليأمر بمحاكمة ثاوفيلوس امام مجمع يكون
رئيسه يوحنا فم الذهب . فلما شعر الآب ثاوفيلوس بذلك نسب
هذه الحركة الى يوحنا وحرر في الحال رسالة الى ابيفانيوس
اسقف قبرص الشديد الكراهة لاوريجانوس ومصنفاته
واذعى على يوحنا بانه من انصار ذلك الارطوقي فجمع في
الحال مجمعاً بقبرص وحرم مصنفات اوريجانوس ولم يكتف
بذلك بل سافر الى القسطنطينية بايعاز من ثاوفيلوس الذي
كان قد سبقه اليها وألفا مجمعاً ضد يوحنا وحرموه واستعانوا

AUC - LIBRARY

بمساعدة الملكة التي كانت تبغض يوحنا لانه كان يوبخها دائماً على سوء فعالها. وقد ارسلوا له اربع مرات ان يحضر في المجمع فأبى وطلب ان ينظر في امره بمجمع مسكوني واخيراً قطعوه بدعوى انه خائن للملكة والبلاد وقد اصدر الملك الامر بنفيه فنفي

الفصل الخامس

الانبا انطونيوس

اب الرهبنة

ولد هذا القديس من ابوين علماء وربياه على مبادىء شريفة وآداب عالية ولما بلغ العشرين من عمره مات والده وترك له مالاً وترك له أختاً فاعتنى بها اعتناء عظيما

بيعه الاموال واعطاؤها للفقراء عند ماسمع نص الانجيل

وقد حدث مرة انه بينما كان سائراً الى الكنيسة خالج فكره حالة التلاميذ وكيف تركوا الاهل والاموال حباً في السيد فلما دخل الكنيسة سمع الانجيل يقول « ان شئت

ان تكون كاملاً فامض وبع كل مالك واعطه للمساكين فيكون لك كنزاً في السموات.» فظن لوقته ان هذا الخطاب موجه له من الرب يسوع فرجع في الحال الى بيته واخذ اخته وذهب بها الى موضع العذارى اللاتي كن يعشن في القداسة والعبادة لله وباع هو كل امواله واعطاها للفقراء والمساكين واخذ يطلب العيش من عمل يديه. وكان دائما يبحث عن طريق الكمال المسيحي واخذ يتقدم في النعمة حتى ان الشيطان طفق يحاربه بشدة فتارة يفكره بأمواله التي خسرها وأخرى بأخته الضعيفة وغير ذلك من الافكار التي تجلب الهموم. اما القديس فكان كلما رأى الحرب العالمية قائمة ضده كلما اقترب الى الله بالصوم والصلوة ولما أعيت الشيطان الحيل اخذ يدبر له طرقا أخرى. فمنها انه اذ كان القديس يسكن احد القبور حضر اليه ابليس ظاهراً وشرع يضربه ضرباً مبرحاً وكاد يتركه بين حي وميت. فجاء اليه احد اصدقائه ووجده على هذا الحال فاتى به الى كنيسة البلد حيث اجتمع حوله شعب المدينة وجلسوا ينتظرون عاقبة أمره أما هو فاستمر

على تلك الحال حتى جاء الليل فنام جميع الشعب بجواره فلما أفاق طلب من صديقه ان يرجعه الى قبره بدون ان يشعر به أحد ففعل كما أمره. ولما وصل هنالك الى موضعه اخذ يصلي وفي ختام صلاته صرخ باعلى صوته قائلاً هوذا انا ههنا ان انطونيوس لا يخاف من الشر الذي صنعته به يا ابليس فان كنت تعد ان تصنع معي ما هو انكى من ذلك فهذا لا يفصلني عن محبة سيدي ثم اخذ ينشد مزامير داود وفي اثنائها ظهر له الشيطان بصورة وحوش وحيات وعقارب وكل منها يزأر طالباً افتراسه. أما هو فقال للشياطين اعلموا انني انا لست في يدكم ولكن أنا في يمين القدير واعلموا انه ليس في استطاعتكم ان تلحقوا بي أدنى اذى ولو كان في امكانكم ما تأخرتم عنه وحينئذ رسم اشارة الصليب ووجد الشيطان قد سقط كالبرق وسطع امام القديس نوراً وفي الحال شفى من جروحه وآلامه فتقوى كثيراً. ولما بلغ من العمر ٣٥ سنة اجتاز بحر النيل شرقاً وتوغل في البرية فرأى برجاً قديماً تسكنه الحيات والاصلال. فلما سكن فيه هربت

منه وكان له صديق يأتيه باود المعيشة كل ستة شهور وكان يأكل كل ٢٤ ساعة

شفاؤه العاهات باسم الرب

ووهبه الله قوة شفاء الامراض واخراج الارواح النجسة فلما علم بذلك اصحاب العاهات هرعوا اليه من كل فج عميق فكان يشفيهم باسم الرب يسوع وقد تتلمذ له الكثيرون فقبلهم وشيد لهم الاديرة للسكنى . ولما اشتعل مكسيميان الاضطهاد ضد سكان الاسكندرية ذهب القديس ومعه تلامذته لتشجيع المؤمنين على احتمال الآلام ولما شعر بذلك الوالي أمر بطرد جميع الرهبان فخضعوا الامر ما عدا انطونيوس فانه مكث لتعزية الشعب

وبعد ان انقضى زمان الاضطهاد رجع الى ديره وصار يسوس اولاده بالوعظ والتعليم ولما شاع خبره في جميع البقاع ارسل اليه الملك قسطنطين الكبير رسالة فاندهل الرهبان من تحرير الملك له فقال لهم لا تتعجبوا من ان الملك يرسل لي خطاباً ولكن تعجبوا كيف ان الله اعطانا شريعته

AUC - LIBRARY

الطاهرة وكلمنا في شخص ابنه الحبيب

تعريفه الفلاسفة والعلماء نفسه بالحسنى ووفاته

ولما سمع به الفلاسفة والعلماء هرعوا اليه فلما أبصروا انه انسان عادي وبعيد عن المعارف الفلسفية اغتروا بأنفسهم وعرف هو ما يخالج صدورهم فقال لهم اخبروني هل جودة العقل وجدت قبل العلوم أو العلوم قبل جودة العقل وهل الفهم وحسن المعرفة تتولد من العلوم او هذه من ذينك فأجابوه ان العلوم تتولد من المعرفه الحسنة وجودة العقل . قال فاذاً من كان ذا معرفة حسنة وجودة عقل فليست العلوم الطبيعية بضرورية له فخجلوا من هذا الجواب السديد وقد حضر لديه بعض الناكرين للديانة المسيحية فأثبتها لهم بالادلة الناصعة وقد آمن الكثيرون على يديه ومات القديس بعد ان بلغ من العمر ١٠٥ سنوات

الفصل السادس

القديس باخوميوس (١)

ولد هذا القديس في أواخر الجيل الثالث وهو من عائلة وثنية من سكان الوجه القبلي. ولما بلغ من العمر العشرين انتظم في سلك الجندية تحت يد قائد جيش ديوكليتانوس واذ كان الجيش زاحفاً على البلاد الحبشية لمحاربتها مرّ على مدينة اسنا فاستقبله اهل المدينة بكل احترام واذ قد عاشر صاحب الترجمة المسيحيين الذين فيها وجدهم على جانب عظيم من دماثة الاخلاق فأثرت عشرتهم في قلبه ومال من كل قلبه الى اعتناق الديانة المسيحية فلما رجع من الحرب اتحد بالنصارى واعتمد باسم المسيح يسوع واذ قد عاشر شيخاً تقياً ورعاً محباً للرهبنة ابتنيا ديراً سمياه دير طابانا

---

(١) لما كانت حياة القديسين باخوميوس ومكاريوس لا تختلف عن حياة الانبا انطونيوس فسنذكرهما بالايجاز

AUC - LIBRARY

المشهور الآن بدير انبا هدرة (وهو واقع الآن في الجبل الغربي في جنوب مدينة اسنا) ولما سمع بتقواه المكثيرون تبعوه فوضع لهم القوانين اللازمة لعيشة الرهبنة. وقد بلغ عدد تلاميذ هذا القديس نحو السبعة آلاف نفس وقد توفي بشيبة صالحة وهو في الرابعة والسبعين

الفصل السابع

ترجمة حياة القديس مكاريوس

نبت هذا القديس الجليل في اوائل الجيل الرابع ولما لاحظ اسقف بلدته على محياه الفضيلة والعلم رسمه شماساً ولكن تاقت نفسه الى عيشة الرهبنة. فانفرد وحده وصار يأكل من عمل يديه. واوقعه مرة ابليس في تهمة باطلة ضرب جلد من أجلها ومن ثم ذهب الى الجبل الغربي وهو في سن الثلاثين فصار يتعبد لله. ولما علم به أولو الفضل أتوا اليه من كل حدب وصوب وتتلمذوا له فشيد لهم ديراً يسمى

دير البرموس وانشأ ديراً آخر يسمى دير أبي مقار وأخيراً مات بعد ان ترك التعاليم الطاهرة والسيرة الحسنة

الفصل الثامن

غريغوريوس النزينزي

دعي بالنزينزي نسبة الى موضع ولادته وكان أبوه أولاً وثنياً وكانت امه مسيحية اسمها نونا اكتسبت زوجها الى المسيحية فمارسها بأمانة حتى صار اسقفاً. ولما ولد لهما هذا الابن كرساه لخدمة الله فاحسنا تربيته اولاً في المنزل. ولما تقدم في العمر اخبرته أمه كيف نذراه لخدمة الرب وهو طفل صغير فقبل غريغوريوس ذلك النصيب وتولع بالعلم حتى انه ذهب الى اثينا ليكمل علمه وبينما كان مسافراً هبت عليه ريح عاصفة فهاج البحر وأوشكت السفينة على الغرق الامر الذي جعله يفكر في حالة نفسه وشعر بعدم ايمانه فطلب الى الله بحرارة ان ينقذه من ذلك الخطر لكي يصرف

AUC - LIBRARY

حياته فيما بعد في خدمة الله فاستجيب طلبه هو ومن معه ومن ذلك الوقت علقت نفسه بالعبادة والتقى بباسيليوس في أثينا الذي صار فيما بعد اسقفاً على قيصرية وكانا كلاهما حديثين في السن فكانا يجتمعان سوية ويتحادثان في الأمور العلمية والدينية والادبية . ويتساعدان في وسط التجارب الكثيرة المحدقة بهما. ولم يتأخرا في الوقت نفسه عن مساعدة الفقراء والمساكين

انكافه على عيشة التقشف

والعكف القديس بعد رجوعه على التقشف واحتقار ملذات العالم. وكان يتأمل دائماً في كلمة الله حتى انه كان يصرف الليالي الطوال في ذلك. وذهب الى صاحبه باسيليوس حيث كان مقيماً في مكان منفرد في بنتس لكي يكون له فرصة اكثر للقراءة والتأمل والصلاة . ولكن لما تقدم أبوه في العمر أرسل واستدعاه ليعينه في شيخوخته فحضر وبعد ان توفي والده أقام مكانه مدة ثم ذهب الى القسطنطينية وكان يكرز في بعض كنائسها الصغيرة وكان محباً لعيشة التقشف الزائد . واشتهر بالفصاحة والمقدرة والوعظ ثم ترك القسطنطينية

ورجع الى وطنه حيث صرف باقي حياته الى ان مات في الرب سنة ٣٨٩

الفصل التاسع

اغسطينوس الشهير

ولد حوالي سنة ٣٥٤ وشب على محبة الدين والآداب وكان ابن امرأة تقية طاهرة علمته من الصغر حب الرب يسوع وكان اسم هذه القديسة مونيكا وكان زوجها وثنياً فظ الطباع . وقد جاهدت كثيراً حتى صيرته مسيحياً حقيقياً

مجاهدات والدة اغسطينوس في تقويم أخلاق ابنها

ولم تطل حياته كثيراً فصرفت هي قواها في تربية ابنها اوغسطينوس . وتعبت كثيراً في تعليمه لانه كان شريراً . ولما بلغ من السن السابعة عشرة ذهب الى قرطاجنة بقصد التعليم فاقام هناك سنتين الا انه لم تتغير اخلاقه الشريرة عما طبعت عليه من حب الشر وفي

AUC - LIBRARY

مدة اقامته في قرطاجنة قرأ كتاب شيشرون الخطيب الشهير والعالم الروماني الكبير فاستفاد منه كثيراً ولكن قلبه كان لم يزل بعيداً عن الله . ومال الى بعض اعتقادات فلسفية كاذبة فحزن قلب امه فكانت تصلي من اجل ذلك الى الله ليرجعه عن شره . وفي ذات يوم ذهبت مونيكا الى احد الاساقفة الاتقياء وشكت له امرها. وكان الاسقف المذكور في صغره في حالة تشبه حالة اوغسطينوس وقتئذ فأوصاها بأن لاتقطع رجاءها من بركة الله وان تداوم على الصلاة. وقال لها « اتركيه لذاته هنيهة واذهبي في طريقك فانه غير ممكن ان الله يدع ابن هذه الدموع التي تتساقط منك ان يهلك » فتعزت مونيكا بهذه العبارة وذهبت الى ابنها

وحدث انه في ذات يوم رأت في حلم انها واقفة على ممشى من خشب وهي حزينة على ابنها . فاقترب منها شاب جميل الصورة حسن الهندام وهو يبتسم وقال لها ما بالك حزينة فاجابت بأني حزينة على ابني الشرير فاجابها الشاب لاتخافي حيث تكونين يكون ابنك ايضاً. فاستفاقت ورأت ابنها

بجانبها فاستنتجت مونيكا من ذلك ان الله سوف يفتقد ابنها يوماً ما ويجعله ابناً له فتعزت من هذه الرؤيا وداومت على طلباتها لله مدة تسع سنين حتى استجاب الله لصلواتها

رجوع اغسطينوس عن غيه

وكان السبب في رجوع اوغسطينوس انه فقد يوماً صديقاً عزيزاً له فتأثر لفقده. وشعر ان السلام الحقيقي انما يكون في محبة الله الذي لا يموت ولا يتغير. فذهب الى رومية ثم الى ميلان حيث وجد امبروسيوس الصالح. فقبله امبروسيوس ببشاشة واحب اوغسطينوس من كل قلبه وكان يذهب دائماً ليسمع الوعظ فأثرت فيه كلمة الله وكان مرة يصلي ويبكي على اثمه ويطلب من الله ان يتجاوز عن كل ما صدر عنه من الذنوب فسمع صوت ولد صغير يقول له خذ واقرأ خذ واقرأ فاخذ الكتاب المقدس من يد الولد وقرأ هذه الكلمات الذهبية لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لاجل الشهوات رو ١٣: ١٣ و١٤

AUC - LIBRARY

من هذا الوقت رجع اوغسطينوس مما كان عليه وصار خادماً
أميناً لله وكرس حياته للرب يسوع

شكر والدته للرب على سماعه طلبها

ثم بعد قليل اخذ اوغسطينوس والدته وذهب بها الى افريقا. وبينما كان في الطريق في مكان يقال له اوستيا مرضت وماتت وهي تحمد الله وتشكر العزة الالهية على سماع طلبتها

ثم رجع اوغسطينوس الى رومية ومنها توجه الى تاغاست منبت رأسه واقام هناك ثلاث سنوات وكتب فيها بعض مؤلفاته السامية. ومال أخيراً الى عيشة النسك والتقشف ومن ثم عين اسقفاً على مدينة هيبو فكان فيها نعم المثال الصالح وكتب عدة مؤلفات روحية وتنيح اخيراً سنة ٤٣٠ في الرابعة والسبعين من عمره

الفصل العاشر

يوحنا فم الذهب

ولد هذا القديس العظيم في مدينة انطاكية ولقب

بفم الذهب لفصاحته . وكان ابوه من ذوي الغنى واليسار وقائداً في العسكر الروماني في سوريا . ولما مات وكان يوحنا ولداً صغيراً ربته امه وكانت من النساء الطاهرات

وذكر انه بعد ان قبل الديانة المسيحية احب عيشة الزهد والرهبنة فترك كل ماله في العالم وذهب الى احد الاديرة فاقام فيها اكثر من اربع سنوات . ثم ترك الدير ومضى فسكن في مغارة وحده وكان ينام على الارض حتى هزل جسمه ولكن الروح كان يقويه وتسنى له وهو في المغارة أن يدرس الكتاب المقدس درساً جيداً حتى تدلهه على ظهر قلبه . ونزل اخيراً الى العالم حاملاً البركة الحقيقة. فذهب الى انطاكية وكرز فيها بالفصاحة التي اشتهر بها ثم انتخب بطريركاً على مدينة القسطنطينية. وفضلاً عن فصاحته وغيرته على كلمة الله كان شجاعاً لا يهاب احداً . فكان يوبخ وينتهر الزائفين غير هياب وكان هذا سبباً لحقد الناس عليه . وكان احياناً يوبخ الامبراطورة افدوكسيا لكبريائها فاغرت باقي الاساقفة على الاجتماع فقرروا اخراجه من

AUC - LIBRARY

وظيفته وامروه بالذهاب الى نيقيه . ولما كان الشعب يحبه التمسوا من الامبراطور اعادته من منفاه فقبل التماسهم خوفاً من حصول شغب واعاده الى القسطنطينية. ولكن بعد قليل اهان الملكة فأمرت الملكة بنفيه من البلاد . فاجتمع المجمع ونظر في امره واخيراً قرر نفيه مرة ثانية ولكنه لم يفتر عن عمل الخير والمناداة بالانجيل بين الناس الذين كان بينهم مبشراً وواعظاً . ولما بلغ خبره الى اسقف رومية ارسل يشجعه ويمدحه على عمله الطاهر . وحدث ان اعداءه خافوا ان يرجع الى مدينة القسطنطينية فأبعدوه بالقرب من البحر الاسود ومات سنة ٤٠٧ وكان عمره يومئذ ٥٣ سنة ومؤلفاته كثيرة ومشهورة في الكنيسة

الفصل الحادي عشر

القديس العظيم

مار جرجس

ولد صاحب الترجمة في مدينة من اقليم الكبادوكي من

والدين عريقين في المجد والشرف . وقد تربى على اشرف المباديء واحسن الاخلاق . ولما بلغ من العمر الرابعة عشرة مات والده فاهتمت به والدته وعلمته ولكن بعد قليل رأت والدته ان ترجع الى مسقط رأسها فلسطين فأخذت ابنها معها . واذ كان اهلها قد تركوا لها ارثاً عظيماً استولت عليه بنفسها ومن ثم قد تسنى لها ان تربي ابنها تربية صحيحة وتعلمه تعليماً عالياً فنما بذلك في الفضيلة والآداب وانخرط في سلك الجندية وترقى في وقت قصير من الزمان الى رتبة قائد في الجيش لانه اظهر نشاطاً فائقاً ونفساً عالية وهمة عجيبة. ولما برع في العلوم الحربية براعة كبرى رقاه الامبراطور الى رتبة وزير وقدماتت والدته في هذه الاثناء فحزن عليها حزناً عظيماً وبعد ان دفنها ووراها التراب اخذ جانباً من امواله وبعض عبيده وذهب الى نيكوميدية حيث كان ديوكلتيان فلما وصلها وجده انه قد اصدر امراً ضد المسيحيين فالتهب قلبه بنار الغيرة واخذته الحمية واستعد للدفاع عن اخوته في المسيح يسوع ومن ثم قد توجه تواً الى قصر الملك.

AUC - LIBRARY

ولما مثل بين يديه ابتدأ يقنعه بصحة الدين المسيحي ويطلب في الوقت نفسه العفو عن ابناء الايمان ومن اقواله المأثورة قوله « الى متى انت ايها الملك وأنتم يا رؤساء المشيخة والرومانيون تبرزون شرائع وتصبون غضبكم على المسيحيين الابرار وتضطهدونهم وتغتصبون الذين عرفوا الايمان الحقيقي على ان يتبعوا الديانة التي انتم في شك منها لانها غير حقيقية . فان الاصنام ليست آلهة فلا تخدعوا ذواتكم لان المسيح هو الاله وحده وهو وحده كانت الاشياء كلها بروحه القدوس تدبر الموجودات جميعها وتحفظ فاذاً اما انكم تعترفون بهذه الديانة الحقيقية او لاتضروا اولئك المتمسكين بها »

حنق الملك على القديس

فلما سمع الملك هذه الاقوال حنق عليه واشار الى القنصل ما غنانتيوس أن يرد عليه فدعا القديس بجانبه وقال له ترى من هو الذي علمك الجراءة حتى تكلمت هكذا ؟ فأجابه الحق . فأجاب القنصل قائلاً وما هو الحق . فأجابه القديس هو المسيح الذي انتم تضطهدونه . فسأله القنصل

وهل انت مسيحي فقال نعم اني أنا عبد المسيح ومن حيث اني متكل عليه فقد حضرت بينكم لاشهد للحق فلما سمع الديوان هذه الاجوبة حصلت غوغاء وارتفعت الاصوات طالبة الانتقام من القديس فأمرهم الملك بالسكوت فسكت الجميع ثم التفت الى القديس وقال له تعلم اني قد رفعتك واعليت مقامك واعتباراً لشرف اصلك احتسبتك كافياً في العمر للوظائف السامية والمراتب العالية والآن وان كنت قد تجرأت ان تستخدم لضررك حرية التكلم فمع ذلك من اجل محبتي لفطنتك وشجاعتك فانا اقدم لك المشورة كأب محرضاً اياك ان لا تهمل رئاستك ولا تعرض نفسك الى التهلكة . واشفق على نضارة شبابك وعلى عودك الرطب قدم ضحية للآلهة وهي تشفع لك وتنجيك من الغضب فاجاب مار جرجس بكل جرأة اما انا يا جلالة الملك فاشير عليك بان تؤمن بالرب يسوع وهو يهبك ملكاً غير فانٍ ارقى واسمى من هذا الملك الفاني الزائل . لان جميع حطام العالم لا بد ان يفنى ان لم يكن عاجلاً فآجلاً اما انا فلا شيء

AUC - LIBRARY

يقدر ان يفصلني عن محبة الرب يسوع ولا نوع من انواع العذاب يستطيع ان يسلب مني قلبي وايماني. واعلم انه لا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة اخرى تقدر ان تفصلني عن الهي وخالقي. فلما سمع الملك هذه الاقوال غضب وامر الجند ان يطردوه من المحفل باسنة السلاح ويسجنوه

تعذيبه وصبره على العذاب

وفي اليوم التالي علقوه على دولاب مغروس فيه سيوف ومخالب وحديد وجعلوا يديرون جسده فوق تلك السيوف البائرة والمخالب الحادة فكان يحتمل ذلك بصبر جميل وبعد تعذيبه على تلك الحال مدة ظنوا انه مات فتركوه ولكنهم وجدوه بعد برهة صحيحاً. فتعجبوا وآمن كثيرون منهم حتى زوجة الامبراطور اسكندره. ومن ثم ابتدأ الملك ان يعيد عليه النصح والارشاد حتى يرجع عن ايمانه. فلما لم يذعن أمر بأن يوضع داخل الجير فلم ينله اذى فعاد الملك الى ملاطفته وقال له اني مستعد ان ارفعك الى اسمى وظيفة في المملكة ان بخرت لآلهتنا. وقد امر الملك ان يسوقوه الى الهيكل

حتى يصلي هنالك. فلما دخل الى الهيكل بسط يديه وصلى صلاة حارة وفي اثناء الصلاة سقطت الاصنام وتهشمت فغضب الكهنة ونسبوا ذلك الى قوة السحر وطلبوا الى الملك اعدامه فأمر باعدامه بقطع الرأس هو والملكة اسكندره التي قبلت الرب يسوع مخلصاً والهاً لها

الفصل الثاني عشر

القديسة دميانة

انه في خلال الجيل الرابع انفردت القديسة الفاضلة السيدة دميانه للعبادة في قصر جميل قد بناه لها والدها مرقس والي البرلس في جهة بلقاس. ولما سمع خبرها في كل صقع وناد اقتدى بها اربعون عذراء وجعلن يمارسن معها كل انواع العبادة والتقشف. وكانت السيدة دميانة مثالاً صالحاً لهن في التقوى والفضيلة ولذلك صاروا يتبارون في مضمار الصلاة وعمل الخير فمالت بفعالهن الملائكة الاطهار. ولكن الشيطان عدو كل خير وسوس في صدر ديوكليتيانوس ان يأمر بعزل

AUC - LIBRARY

جميع الولاة المسيحيين مالم يتعبدوا لأبلون وارطميس فلما سمع بذلك الخبر مرقس والد السيدة دميانه خاف على مركزه وبخر للاوثان فلما اتصل الخبر بتلك الآنسة الطاهرة اغتاظت وكتبت رسالة له نصحته فيها بالثبات على الايمان والرجوع الى الرب يسوع . ومما قالته له في عرض كلامها قولها . اعلم يا ابتِ ان الحياة والموت يد الله وما الموت الجسدي بموت ولكن الموت انما هو موت النفس الشريفة الطاهرة . واعلم ان الجبن وعدم الثبات على الايمان انما هذا هو الموت الادبي الذي لا يوجد اشنع منه في الحياة . فاياك ان تطيع اوامر الملك العاتي الذي لا سلطان له عليك الا في جسدك البالي ولكن لا سلطان له على روحك الطاهرة ونفسك السامية . فاحذر على نفسك لئلا تباع للشيطان والشيطان غادر أثيم لا يشفق عليك ولا يرق لك اذا وقعت في مخالبه

واعلم ان موتك مع المسيح خير من حياتك مع الشيطان وان رفعتك في الدنيا انما هي عين الانحطاط في نظر كل من يسعى الى الحقيقة المجردة . واذا وصلتك رسالتي فاقرأها

بامعان وتدقيق وبادر في الحال الى الرجوع الى الرب يسوع فيقبلك كما قبل الابن الضال لانه قال كل من يأتي اليّ لا اطرحه خارجاً

فلما وصلت اليه الرسالة وقرأها أخذت بمجامع لبه واصلحت ما فسد من طويته. وللحال نهض من سقطته مبكتاً ذاته ونادماً وقارعاً بيكاء مر باب التوبة واعترف جهراً بالايمان المسيحي فلما شعر بذلك الامبراطور امر بموته واعدامه واذ عرف ان السبب في انقلاب مرقس واعتقاده بالدين المسيحي انما هو ابنته الناسكة في البرية أرسل جنداً حاصروا ذلك القصر من كل جانب ثم دخلوا عليها وهم شاهرون السلاح فقتلوها بعد ان عذبوها بكل انواع العذاب وهكذا انقضوا كانقضاض الصواعق على رفيقاتها فذبحوهن وخضبوا بدمائهن الارض

AUC - LIBRARY

الفصل الثالث عشر

﴿ القديسة ثاودورا ﴾

ولدت القديسة ثاودورا في الثغر الاسكندري في نهاية القرن الثالث من ابوين مسيحيين من العظماء . وتربت تربيـة لائقة بجنسها ودينها . ولما بلغت سن الزواج طار صيت نسبها لاسيما جمالها الفتان الى بيوت سراة المدينة وجعل الشبان يتبارون في طلبها عبثاً. لانها كانت نذرت العفة ولازمت بيت ابيها لا تخرج منه الا لتناول القربان المقـدس وسماع الوعظ يوم الاحـد فلما برزت اوامر ديوكليتيان باضطهاد النصارى شكا عليهـا امام بروكولوس والي الثغر بانها مسيحيـة فأحضرها امامه فلما شاهد جمالها افتتن بحبها وجعل يرقّ لهـا الحديث ويلاطفها بأمل أن يستميلها الى حبه لكي يتزوج بها لانه وقع بغرامها فـكانت تنفر منـه وتأبى ان تردّ على جهله وكانت اذا اضطرت للجواب تقول له اني مسيحية وناذرة للعفة فلما رآها مصرة على العناد ولا طاقة له أن يستولى على لبها دفعها

لمنزل عاهرة لتفتض بكارتها رغماً عنها فقالت له ان الله قادر ان يحفظني في ذلك المكان كما حفظني في غيره. فلما شعر ديديموس احد الشبان المسيحيين بالحكم الذي صدر على ثاودورا اتقد بنار الغيرة لانقاذها فالهمه الله الى هذه الوسيلة وهي انه تزيا بزي جندي واسرع الى منزل تلك العاهرة ودفع للجند رشوة وطلب من العاهرة ان تأذن له بالدخول على ثاودورا في الغرفة المسجونة فيها فاذنت له بذلك فلما شاهدته الصبية ارتاعت هلعاً وانخرطت في البكاء والعويل ظانة انه قد حلّ وقت افتضاض بكارتها وتدنيس عفتها. فناداها الشاب وهو يبكي لبكائها وقال لها لاتخافي يا أختي ياعروس المسيح انا اخوك وقد ارسلني خطيبك لنجاتك انا رسول سلامة عفتك ونجاتها من الفساد قال ذلك وللحال نزع عن ذاته الزي العسكري واردف قائلا خذي هذا الثوب تردي به واعطيني ثوبك لألبسه واخرجي متنكرة وانا البث في مكانك فاطمأنت وعلمت ان الرب ذكرها بمراحمه ونزعت الرداء عنها وتردت بشكل الشاب وتقلدت سيفه وغطت وجهها كمن يستحي عند خروجه من

AUC - LIBRARY

مثل ذلك المنزل وخرجت ذاهبة

انكشاف حيلة الشاب وقتله مع القديسة

وبعد قليل تنبهت العاهرة للحيلة واخبرت الجند فاخرجوا الشاب بثوب ثاودورا وقادوه الى امام الحاكم فانذعر لهذه الحيلة واعتبرها خيانة وشرع يشتم الشاب ويتهدده بالعقاب اذا لم يدله على مكان الصبية. قال الشاب لست اعرف مكانها وانما اعلم انها خرجت من منزل البغاء نقية طاهرة. فسأله الوالي ما اسمك فقال اسمي ديديموس عبد يسوع المسيح وقد كنت مقيداً بسلاسل الظلمة فخلني سيدي منها. فأمره الوالي ان يبخر للاصنام فابى فحكم بقتله وبحرقه. فاستاقه الجند الى المقتل فلما علمت ثاودورا بالحكم الذي قضى به على هذا الشاب الذي خاطر بحياته لنجاتها خرجت من مخدعها تجدّ وراءه. فلما ادركته قالت له على مسمع من الموجودين انك تجدّ لكي تختلس اكليلي فيلزم ان اسبقك اليه فقال لها يا أختي لا تقابلي احساني بالاساءة فقد دفعت عنك العار محافظاً على عفتك فدعيني انال عوض ذلك اكليل الاستشهاد

فبكى الحاضرون لدى سماع هذه النغمة الملائكية . حتى ان الوالي تأثر منها ورثى لهما لكنه لم يقدر ان يعفو عنهما خوفاً من سطوة القياصرة فامر بقطع رأسيهما وهكذا توفيا. اما احدهما ففي حب العفاف واما الثاني ففي المحافظة عليه

قيل ان المفاوضات الآتية اشتراها المسيحيون من كتاب محاكم كيليكيه بمائتي دينار وقد حدثت في اثناء الاضطهاد الذي امر به ديوكليتيان واليك هي

المفاوضة الاولى

دعا مكسيموس والي اقليم كيليكيه امامه تراكوس الروماني المسيحي وقال له ما اسمك اجاب تراكوس قائلا انا مسيحي قال الوالي فليضرب على فمه ليتعلم ان لا يجاوب عن غير ما يسأل عنه وبعد ان ضرب قال القديس ان الاسم الذي سماني به ابواي هو تراكوس ولما كنت جندياً سميت منصور

قال له مكسيموس ـ ما صنعتك ومن اية بلاد انت

اجاب تراكوس ـ انا من عشيرة رومانية وكنت شرطياً لكني تركت الجندية بسبب ديني

AUC - LIBRARY

م ـ كفرك جعلك غير أهـل ان تكون جنديا لكن كيف تركت الخدمة

ت ـ استأذنت في ذلك رئيس فرقتي فاذن لى

م ـ اعتباراً لشيبتك احصل لك على التفات القيصر وحبه اذا كنت تجري على مقتضى أوامره فهلم واذبح للآلهة على مثال ما يعمل الملوك انفسهم

ت ـ لاجرم ان الملوك مغترون من الشياطين في اشتراكهم بمثل هذه العبادة

م ـ اكسروا فكيه لانه قال ان الملوك مغرورون

ت ـ نعم وانا اكرر ذلك القول لانهم بشر قابلون للانخداع

م ـ ضح لآلهتنا ودع عنك الجنون

ت ـ لا قدرة لي ولا استطاعة على ان انكر شريعة الله جل شأنه

م ـ ايها الشقي لا ناموس غير الذي نتبعه ونخضع له

ت ـ انه يوجد ناموس آخر ولكنكم تعصونه بسجودكم لتماثيل الخشب او الحجارة التي هي من عمل ايديكم

م ـ فليضرب على وجهه ليترك جنونه

ت ـ ان الذي تدعونه جنوناً هو خلاص نفسي فلن اتركه ابداً

م ـ لا بد ان اجعلك تنبذه واجبرك على ان تصير عاقلاً

ت ـ افعل بجسدي كل ما ترضى به فهو تحت سلطانك

م ـ عروه واضربوه بالقضبان

ت ـ اثناء الضرب ـ هاقد جعلتني الآن عاقلا حقاً لان الضرب الذي أمرت به قواني وشدد ثقتي بالله وبيسوع المسيح

م ـ كيف تنكر كثرة الآلهة وهاقد اعترفت بانك تعبد الهين أما اعطيت اسم الله لشخص يدعى المسيح

ت ـ نعم لان ابن الله الحي هو معه واحد وهو رجاء المسيحيين ومعطي النجاة للذين يتعذبون حباً به

م ـ دع هذه الحماقة وتعال ضح لآلهتنا

ت ـ لست كما تظن فأنا ابن خمس وستين سنة وقد ادركت الحق فلا استطيع ان انبذه

م ـ فقال له القائد مشفقاً اعمل بهواي واتبع مشورتي اذبح للآلهة واخلص من الموت

AUC - LIBRARY

ت ـ ادخر نصيحتك لنفسك فاني اذبح لسيدي المسيح عجول شفتي المعترفتين

م ـ اوثقوه بالسلاسل الثقيلة واودعوه في السجن

ت ـ ثم احضر القائد القديس بروبوس امام الوالي فقال له ما اسمك قال اسمي الاخص والاشرف مسيحي غير ان الناس يدعونني بروبوس

م ـ من اي بلد انت ومن اية عشيرة

ب ـ كان ابي من تراكيا وانا من العامة وولدت بصيدا بلدة بيمفيليه ودیني النصرانية

م ـ لا ينفعك اسمك شيئاً اسمع مشورتي وضح للآلهة لتكون جديراً بمحبتي وبالتفات القياصرة

ب ـ كل ذلك لا ينفعني شيئاً فقدكانت لي ثروة كبيرة واسعة فغادرتها تاركا لأخدم الاله الحي يسوع المسيح

م ـ انزعوا عنه ثيابه وضعوا عليه ازاراً ثم مدوه ليضرب باعصاب البقر وفيما كانوا يضربونه على ذلك الاسلوب قال له ديمتريوس قائد المائه اشفق على نفسك ياصاح فها الارض

قد اصطبغت بدمك

ب ـ اعملوا بجسدي كل ما تريدون فتعذيبكم بالنسبة الي رائحة طيبة

م ـ ألا يشفى داء حماقتك. ماذا عساك ترجو

ب ـ انا أعقل منك لاني لا أسجد للشياطين

م ـ اضربوه على بطنه

ب ـ يا الهي أعن عبدك

م ـ اسألوه وأنتم تضربونه أين معينه المحامي عنه

ب ـ قد أعانني ويعينني فاني لا أعتبر تعاذيبك ولا أطيعك البتة

م ـ يا لشقائك فها قد تمزق جسدك وتخضبت الأرض بدمك

ب ـ كلما تعذب جسدي لاجل المسيح اكتسبت نفسي قوة وبأساً شديداً

م ـ أوثقوا يديه ورجليه باغلال حديدية ومدوا ساقيه على آلة العذاب ولا تأذنوا لاحد ان يعالج جراحه

ثم أحضر امام الوالي المعترف الثالث فقال له ما اسمك قال اسمي الحقيقي مسيحي والذي عرفت به بين الناس هو اندرونيكوس

AUC - LIBRARY

م ـ من أية عشيرة أنت

أ ـ ان أبي من أشراف افسس

م ـ اسجد للآلهة واطع الملوك الذين هم آباؤنا واسيادنا

أ ـ أنتم عبيد لمن تطيعون وهم الشيطان وجنوده

م ـ ايها الحدث انت وقح أما تدرى ان العذاب مهيأ لك

أ ـ انا مستعد لكل ما يصيبني

م ـ عروه وضعوا عليه ازاراً ومدوه على آلة العذاب . فدنا قائد المائة للمعترف وقال له اطع ياصاح قبل ان يمزق جسمك

أ ـ اني أفضل ان يمزق جسمي على ان أخسر نفسي

م ـ ضحِ والا فأحكم عليك بموت بطيء

أ ـ لم اذبح للشياطين منذ طفوليتي ولا ابتديء بذلك اليوم فقال له ضابط متقدم في السن انا بحسب العمر كأبيك فاقبل مشورتى كأبٍ واخضع للحال. فضحك الشاب واجاب يا لها من مشورة غريبة ان اضحي للشياطين

م ـ ايها الشقي سترى ان كنت لا تشعر بالتعاذيب فمتى شعرت بها ربما ترفض جنونك وحماقتك

أ ـ الجنون يفيدنا نحن الذين لنا الرجاء بيسوع المسيح لان حكمة الدنيا تجرّ الى موت مؤبد

م ـ عذبوه عذاباً شديداً

أ ـ ما فعلت شراً وانت مع ذلك تعذبني كقاتل فانما احتمل عذابك من اجل العبادة التي تجب للاله

م ـ لو كان لك ادنى احساس تقوي لكنت تسجد لمن يسجد لهم الملوك بكل ورع

أ ـ كفر ان اترك عبادة الاله الحقيقي وأسجد لتماثيل النحاس والرخام

م ـ كيف تجاسرت ان تذنب الكفر الملوك. زيدوه عذاباً وانخزوه من كل جهة

أ ـ انا بين يديك وانت متسلط على جسدي

م ـ ضعوا على جراحه ملحاً وافركوا اطرافه بقطع من كسر القرميد

أ ـ ان تعاذيبكم تكسب جسمي راحة حقيقية

م ـ لا أهلكنك بموت بطيء

AUC - LIBRARY

أ ـ ان وعيدك لا يروعني البتة لان شجاعتي اعظم واسمى من كل ما تسوقك اليه القساوة من التفنن في العذاب

م ـ ضعوا رجليه وعنقه في السلاسل والقوه في سجن ضيق

المفاوضة الثانية

جرت في مدينة موبسوست فاما جلس الوالي المذكور على كرسي الحكم أمر قائد المائة ان يحضر امامه المعترفين فاحضرهم فقال لتراكوس كثيرون من الشيوخ يحترمون لان الحكمة ترافق هذا السن فان كنت استفدت من الزمان الذي تركته لك فاظن ان تأملاتك غيرت اخلاقك ولذلك آمرك ان تضحي للالهة لتحرز اعتباراً فائقاً

ت ـ انا نصراني وعساك انت والملوك ان تتركوا الضلال وتعشقوا الحق المؤدي الى الحياة

م ـ ارشقوا وجهه بالحجارة واكرهوه ان يرفض جنونه

ت ـ هذا الجنون انما هو كل الحكمة الحقيقية

م ـ كل اسنانك تكسرت يا مسكين فارفق بنفسك وتعال معي الى المذبح لتضحي للآلهة وترتاح من العذاب

ت ـ اذا قطعتم جسدي عضواً عضواً فلن يزحزحني ذلك عن عزمي الثابت لان يسوع المسيح هو الذي ينيلني قوة للاحتمال

م ـ انا اقدر ان اشفيك من داء جنونك ائتوا بالجمر وضعوا يديه عليه لتحترقا

ت ـ لا اخاف من نار زمنية تخمد وانما اخاف من نار لا تطفأ ابداً

م ـ انظر يديك قد احترقتا ألا يعقلك ذلك. ضحّ

ت ـ ان كان عندك نوع آخر فاختبرني به واني اؤمل ان اكون اهلاً لاحتمال ذلك

م ـ علقوا رجليه واتركوا رأسه في دخان كثيف

ت ـ كيف اخشى الدخان بعد ان قويت عليّ النار

م ـ اسكبوا في منخريه خلاً وملحاً

ت ـ ان خلك اعده حلاوة وعذوبة وملحك بلا طعم

م ـ امزجوا الخردل بالخلّ وصبوا المزيج في حفرة انفه

ت لقد غلط خدامك لانهم سقوني العسل بدل الخردل

م ـ حسبنا الآن هذا وسوف اخترع لك تعاذيب جديدة

AUC - LIBRARY

لاحملك على نبذ حماقتك

ت ـ ستجدني مستعداً بنعمة الله ان احتمل كل ما يدور في خلدك

م ـ القوه في سجن وأتوا اليَّ بالثاني

وللحال احضر امام الوالي بروبوس فقال له هل تأملت وامعنت النظر وقصدت ان تضحي لآلهتنا كالملوك

ب ـ قد جئتك بعزم شديد ولم يفعل العذاب الذي قاسيته الا انه قسى جسمي وجعل نفسي اقوى مما كانت قبلاً ولك ان تختبر ذلك فلي في السماء اله حي هو الذي اخدمه واسجد له ولا اعرف الهاً سواه.

م ـ كيف يا شقي. أليست آلهتنا احياء

ب ـ عجباً. أيمكن ان تعتبر كأحياء التماثيل الحجرية والخشبية التي هي عمل ايدي الناس فأنتم لا تعرفون ما تفعلون عند ما تقدمون لهم الضحايا

م ـ اصلح وقاحتك وماعليك الا أن تضحي للمشتري العظيم ولا اطلب منك شيئاً بعد

ب ـ من اين لك ان تعطي اسم الله لمن ينسب له المحارم والكبائر كالزنا والفسق

م ـ اضربوا فاه بحجر ليمتنع عن التجديف

ب ـ لماذا تعاملني هذه المعاملة مع اني لم اقل في «المشتري» الا ما يعرفه الذين يسجدون له فلم اجرح اذا الحق وانت شاهد على ذلك

م ـ اوثقوا رجليه بحديد محمي

ب ـ لا حرارة لنارك فاني لا احس بمفعولها

م ـ مدوه على آلة العذاب واضربوه على ظهره بسيور من جلد حتى تنسلخ كتفاه

ب ـ كل اجتهادك باطل فاذا اخترعت عذاباً جديداً ترى قدرة الله ظاهرة في احتمالي له

م ـ احلقوا رأسه وغطوه بحجارة حامية

ب ـ انت تحرق رأسي ورجلي وسترى اني لا ازال مع ذلك مؤمناً بالهي ومزدرياً بتعاذيبك لانه يخلصني واما الهتك فتهلك الساجد لها

AUC - LIBRARY

م ـ الا ترى الذين يسجدون لها حول كرسي مكرمين يجل قدرهم الملوك والعظماء ويرونك انت ورفقاءك بازدراء

ب ـ ان لم يتوبوا ويخدموا الاله الحي سيهلكون جميعاً لانهم يسجدون للاوثان ضد ضمائرهم

م ـ اضربوه على وجهه ليتعلم ان يقول فيما بعد الالهة لا الاله

ب ـ لقد اسأت اليّ وظلمتني وشوهت وجهي لاني قلت الحق

م ـ سأقطع لسانك نهاية لتجاديفك والجئك الى أن تطيع

ب ـ ان لي لساناً آخر داخلياً غير مائت لا سلطان لك عليه

م ـ اذهبوا به الى السجن واحضروا اليّ الثالث

فلما وقف اندرونيكوس امامه قال له ان رفيقيك نبذا في أول الامر طاعتي فاقتضى الحال تعذيبهما حتى خضعا فجازيتهما على طاعتهما بسخاء فان اردت اجتناب تلك العذابات ضح للالهة وانت تنال الكرامة من ملوكنا اما اذا اصررت على العناد والتمرد فأحلف لك بالالهة الخالدين والملوك القاهرين انك لا تفلت من غضبي. قال اندرونيكوس لماذا تريد ان تغرني باخفاء الحقيقة فان رفاقي لم يرفضا عبادة الاله الحق وهب انهما

فعلا مثل ذلك فانا لا اشترك بجرمهما فان الاله مخلصي يسوع المسيح الذي اعبده سلحني بسلاح الايمان حتى لا ارهب وعيدك ولا اغترّ بوعدك وعليك ان تمتحن ذلك

م - اربطوا رجليه واضربوه باعصاب البقر

أ - لاشيء جديد ولا خارق العادة في هذا العذاب قال القائد ان جسدك مثخن جراحاً من قمة رأسك الى اخمص قدميك هل كل ذلك ليس شيئاً

أ - ان الذين يحبون الاله الحي لا يبالون بمثل هذا العذاب

م . افركوا ظهره بملح واقلبوه واضربوه على بطنه لتنفتح جراحه الاولى

أ . افعلوا ما أمرتم به ولا تبقوا منه شيئاً فسأكون مصوناً من الفساد واشد قوة على احتمال عذابك ولقد رأيت عندما قادوني الى امام كرسيك اني شفيت من جراحي التي بليت بها في الاقرار الاول. والذي شفاني في المرة الاولى قادر ان يشفيني في الثانية. قال الوالي للسجان ايها الخائن ألم انهك صريحاً عن ان تأذن لمخلوق ان يدخل ويرى هذا الرجل ويداوي جراحه

AUC - LIBRARY

فاجاب السجان قائلاً اقسم بعظمتك انه لم يره احد لاني حفظته مقيدا بالسلاسل في ابعد مكان من السجن فاذا شككت في امانتي فدونك رأسي فأنا راض بفقد الحياة. قال الوالي فماذا جرى حتى لم يبق عليه أثر من آثار جروحه؟ قال السجان لا ادري كيف جرى ذلك. قال المترف اعلم ان الطبيب الذي شفاني هو قادر كما انه رحيم ومحب وانت لا تعرفه. هو شفاني لا بقوة الادوية بل بكلامه المحيي ومع ان مسكنه في السماء فهو ايضاً في كل مكان.

م. ان هذا الكلام الباطل لا يفيدك. ضح والا قطعت عنقك. لا تظن انك تلعبني

أ. ان اجوبتي لن تتغير بل تبقى هي نفسها فما انا بولد يتغير وسترى ان عذابك لا يزعزع عزمي لان حق يسوع الذي امتسك به لن يغلب منك.

م. اعدوا آلات جديدة للتعذيب والآن قيدوه بسلاسل واسجنوه في حبس الظلمة ولا تأذنوا لاحد ان يزوره

(المفاوضة الثالثة)

وبعد مدة انطلق الحاكم الى مدينة انازرب وأمر باحضار هؤلاء المعترفين فاحضر اولاً تراكوس . فلما ربطه على آلة العذاب قال له المعترف ألا ترى اني قادر ان أطلب من ديوكليتيان أمراً بمنع القضاء عن وضع الجنود على آلات العذاب لكنني لا استخدم حقي لئلا يخامرك الشك اني خائف

م ـ أنت تعلل نفسك وترجو ان تبخر لك نساء المسيحيين بعد موتك لكن اعلم يقيناً انك لا تنال ذلك . قال تراكوس اعمل بجسدي كل ما يرضيك في حياتي وبعد موتي . قال الوالي مزقوا وجهه واقطعوا شفتيه

قال تراكوس للوالي قد أضفت الى نفسي جمالاً جديداً بتشويه وجهي وبما اني متقو بمحبة الله لا اخشى من عذابك البتة

قال الوالي مكسيموس ضعوا على ثدييه قضبان حديد حامية جداً واصلموا أذنيه . قال

ت . لو سلخت كل جسدي فلا تصل الى انفصالي عن الهي

م ـ احموا قضبان الحديد زيادة وضعوها على اضلاعه

ت . يا اله السماء وجه اليّ الحاظك وكن قاضيّ

م ـ ارجعوه الى السجن وابقوه لألعاب الغد . ثم قادوا أمامه بروبوس فأمر ان توضع قضبان الحديد الحامية على اضلاعه وظهره فقال بروبوس ان جسدي تحت سلطتك . ياليت الاله ينظر الى صبري وتواضع قلبي

م ـ ان الاله الذي تستغيث به هو الذي أسلمك الى يدي . ب . هو يحب البشر . انظر اللهم الظلم الذي صنع بي واحكم في دعواي

م ـ افتحوا فاه وضعوا فيه خمراً ولحماً مما قرب للآلهة لانه يفضل احتمال عذابات كثيرة على ان يذبح لآلهتنا فاجعلوه ان يشترك في ضحايانا . ب . لا تفتخر بما أمرت ان تجرى معي رغماً عني لان الله شاهد على ما أقاسيه من الظلم

م ـ سخنوا القضبان واحرقوا ساقيه (وبعد ان فعلوا ذلك) أردف قائلاً لم يبق جزء من جسدك الا استوفى عذابه وأنت لا تزال مصراً على حماقتك

ب ـ قد سلمت لك جسدي لكي أخلص نفسي .
الشكر لمخلصي الذي رضي أن أشاركه في آلامه

م ـ احموا المسامير الحادة واثقبوا بها يديه فاني أجد العذاب الذي قاساه زاد في حمقه .

ب ـ ليتك تشاركني في هذا الحمق فكنت تحسب أفضل حكيم

م ـ قد تعطلت كل اعضائك وتدعي بعد انك تبصر فانخزوا مقلتيه ببطيء حتى تثقبوا عضو البصر

ب ـ هاءنذا الان اعمى اذ قد اعدمتني عيني الجسد لكن لا تقدر ان تعدمني عيني النفس فانا لا زلت أفضل منك بصراً لانك لو عرفت ما أنت عليه من عمى النفس لاحتسبت نفسك اشقى مني

م ـ لا تزال مجادلاً يا شقي . أفتكر بانه قد حكم عليك بعمى لا يزول وأمسيت لا تستطيع ان تستخدم جسدك أكثر من الميت .

ب ـ الميت أو الاعمى لا يقدر ان يتكلم عن الهه ويرى الحقيقة وأما أنا فلست كذلك لاني مازلت ابارك الهي طالما

AUC - LIBRARY

انعشت الحرارة الطبيعية بقية ما تركت لي من جسدي

م ـ يا للعجب أترجو ان تعيش بعد هذا العذاب وهل تظن اني أدعك ترتاح دقيقة واحدة

ب . انا لا انتظر منك الا ميتة شديدة ولذلك اسأل الله نعمة الثبات على الاعتراف باسمه القدوس الى المنتهى

م ـ ساتركك تنضي زمناً طويلاً كما يستحق كافر مثلك. اخرجوه من هنا وحافظوا كل المحافظة على هولاء الاسرى ولا تدعوا أحداً يتمكن من ايوائهم فقد أعددتهم للالعاب العامة . احضروا اندرونيكوس أمامي

فلما جاؤا به أمره ان يضحي للالهة بدعوى ان رفيقيه قد ضحيا لها فقال القديس من شابه أباه ما ظلم فشأن ابيك والهك الذي تعبده الكذب والمكر والخداع فليحكم الله عليك يا غشاش . فأمر مكسيموس ان يحرقوا الهشيم تحت بطنه ثم أحرقوا أصابعه بمسامير حادة . ولما رأى انه عاجز عن تسكيته قال له سوف ترى اعضاءك ممزقة واحداً فواحداً بانياب الوحوش الكاسرة. قال اندرونيكوس انك اشد توحشاً

من النمورة وأطمع في سفك الدم من أشرس القتلة

م ـ افتحوا فاه وناولوه كرهاً مما ذبح للالهة

أ . اللهم انظر الظلم الذي أكابده وأقاسيه

م ـ ماذا تقول الآن لقد اكلت ما قرب على المذبح وها انك دخلت في أسرار الالهة . أ ـ اعلم ايها الظالم ان النفس لم تتلطخ بالدنس حيث تحملت رغماً عنها ما ترذله والله العالم بسرائر القلوب يرى ان قلبي لم يرتض بهذه الرجاسة

م ـ حتى متى تغتر بهذا الجنون فان الهك لا يقدر ان يخلصك من يدي

أ ـ يخلصني متى شاء

م ـ هذه حماقة جديدة فسآمر بقطع لسانك لتسكت جبراً .

أ ـ ارجوك ان تنعم علي وتقطع هاتين الشفتين وهذا اللسان . الاعضاء التي تتوهم اني بها اشتركت في ضحاياكم الدنسة

م ـ اقلعوا اسنانه وقطعوا حتى الاصل هذا اللسان

AUC - LIBRARY

كثيراً ما نطق بالتجديف واعدموا وجودها كيلا يحفظها أهل بدعته كذخيرة مقدسة وارجعوه الى السجن الى ان تفترسه الوحوش في الملعب

ثم استحضر الوالي ترنتيانوس الكاهن الذي كان ناظراً على الالعاب العمومية والمشاهد المشرحة للخواطر وامره بالاستعداد في الغد فاشتمل النصارى الرعب الزائد لان من فحوى امر الوالي ان يلقى للوحوش كل من عرف انه مسيحي. وفي الغد تقاطرت الجماهير الى الملعب ووقف بعض شبان المسيحيين من بعيد ينظرون ما يجري باخوانهم وقد اسال منظرهم الدموع من المآقي لانهم لم يستطيعوا ان يقفوا على اقدامهم لشدة ما قاسوا من التنكيل فاحضروا الى ذلك المشهد الوحشي محمولين على نقالات حتى ان منظرهم أثر على الوثنيين انفسهم ورجع منهم كثيرون الى المدينة ساخطين فامر الحاكم ان ترصد الطرق ويمنع تفرق الجمع ثم أمر باطلاق الوحوش على المعترفين فاطلقت لكنها لم تدن منهم لان المهابة وقعت عليهم وأوقفتهم جامدين. فاوغر هذا المشهد صدر الحاكم وظن

ان المقامين على خدمة الوحوش تواطئوا مع النصارى على مثل ذلك فهددهم بالقتل جميعاً فلما خافوا اطلقوا على الشهداء دباً كان افترس ذلك النهار ثلاثة رجال ولكن الدب تقدم بهدو نحو الشهداء وجعل يلحس جراح اندرونيكوس واراد الشهيد ان يهيجه عليه فلم يتهيج اما مكسيموس فاذ لم يعد يضبط نفسه امر ان يقتل الدب على رجلي اندرونيكوس فامر ترتيانوس وهو خائف على نفسه ان يطلقوا عليهم لبوة هائجة ولا جرم ان زئير اللبوة ارعب اشجع المشاهدين غير انها لما دنت من الشهداء الملقين على الارض انطرحت على قدمي تراكوس ولحستهما فامر الحاكم ان يحرشوها عليهم أما اللبوة فاذ غضبت أسمعت همهمة هائلة خاف منها الجمهور وارتعدوا جداً جداً حتى صاحوا انه ينبغي ان يفتح محلها وتعاد اليه

فدعا مكسيموس المصارعين فاجهزوا على الشهداء وقتلوهم فأمر ان توضع اجسادهم مع اجساد الذين افترسهم الدب وأقام ستة من الشرطة لحراستها في الليل ولكن زوبعة شتتتهم ومكنت شبان النصارى من التقدم الى الاجساد على هداية

نور عجيب ميز بعضها من بعض فأخذوها الى مغارة ووضعوها فيها كذخيرة مقدسة

الفصل الرابع عشر

(الشماس رومانوس)

اما الشماس رومانوس فهو من احدى قرى قيصرية في فلسطين كان قد أرسله أسقفه بمهمة عظيمة الى انطاكية فحدث انه لما دخل بابها وجد جمهوراً من اخوته يساقون الى هيكل الاصنام ليسجدوا لها فغار غيرة الرب ووقف على مرتفع من الارض تجاههم وصاح قفوا واسمعوا كلمة الانجيل ايتها الخراف الضالة فوقفوا جميعاً فشرع ينذرهم بالعقاب الذي يحل بالمارقين عن الدين الذين دنسوا الحلة التي نالوها من داخل مياه المعمودية فأثر كلامه فيهم تأثير النار في الهشيم واشعل قلوبهم بمحبة يسوع وعدلوا عن عزمهم ورجعوا الى الوراء نادمين ذارفين الدموع وهم يهتفون قائلين اننا نصارى اننا مسيحيون . فلما سمع الحاكم بهذا الحادث حنق على رومانوس

واستدعاه أمامه وقال له اني مزمع ان أختبرك لارى ان كنت وقحاً في العذاب كما أنت وقح في الكلام فقال الشماس حاشا أن أكون وقحاً غير اني بنعمة سيدي ساثبت على الاعتراف باسمه الى آخر نسمة من حياتي. فمده وضربه بحبال معقدة برصاص ثم مزق وجهه باظفار الحديد وهو مع ذلك لم يفتر عن الاقرار بالمسيح ثم هدأ. فقال له الحاكم ان الهك المصلوب هو اله من أمس وأما آلهة الوثنيين فهي من قديم. فكانت امرأة نصرانية واقفة في المحفل وعلى كتفها طفل فاحضرها الشماس وقال للحاكم أنظر هذا الطفل الذي لم ينطق بعد أتريد ان أسأله لكي يخبرك بالحق فذهل الحاكم وأجاب بقبول هذا الاقتراح فنادى القديس الطفل باسمه وقال اخبرنا يا بارولاس من هو الاله المستحق وحده السجود فقال الطفل ان الله واحد والسيد المسيح وأما عبادة آلهة كثيرة فحتى الاولاد لا يمكنهم تصديقها

فتعجب المحفل من هذه الاعجوبة. وأما الحاكم فأمر بجلد الطفل وفيما كان يجلد طلب ان يشرب فدنت منه امه

وقالت له اعطش يا ولدي الى تلك الكأس التي شربها اطفال بيت لحم . ثم ذكرته باسحاق الذي مع مشاهدته السكين والمذبح والحطب لم يأنف من تقريب ذاته ضحية . فلما أغلظ الحاكم بضرب الطفل على هامته صرخت أمه قائلة تحمل يا ولدي فانك سائر الى من يتوج هامتك بتاج المجد الدائم ثم أمر الحاكم بضرب عنقه فقبلته أمه تقبيل الوداع الاخير وفرشت أزارها تحت رجليه ولما فصل رأسه من جسمه أخذت جثته وجعلت تعدو مزغردة

اما الشماس فاضرم الحاكم ناراً ليحرق فقال له ان النار لا تفني حياتي فلم يصدق قوله بل ربطه على خشبة واضرم النار تحته فارسل الله مطراً غزيراً اطفأ النار . وكان ديوكليتيان يومئذ في انطاكية فلما سمع بهذه المعجزة دعا الحاكم وقال له يجب اطلاق من شهدت السماء ببره فاجابه الحاكم قائلاً ان هذه المعجزة من فعل السحر وانه اذا اطلقناه اصبحت جميع المدينة نصارى فاقتنع من ثم الامبراطور وامر بتعذيبه فشرع الحاكم ينكل به ولما ضجر من تعظيمه للمسيح قطع لسانه فبقي

يتكلم كما كان ثم شنقه

الفصل الخامس عشر

الشهداء الاربعون

ان اربعين شاباً جندياً ذوي شجاعة هائلة قد اقدموا على تحمل ميتة شريفة وانخرطوا في مصاف الشهداء. وذلك انه لما قصد ليسينوس القيصر ان يحارب عدواً قصد ان يسترضي آلهة الحرب فامر جميع الجند بتقريب الذبائح فوجد هؤلاء الجند عاصين فجلدهم ومزق لحومهم باظفار من حديد ثم طرحهم في السجن. ولما احضروا امامه ثانية وهو في سبسطيه التي على ساحل نهر الفرات كرروا اعترافهم بالمسيح فحكم عليهم بان يعروا من ملابسهم ويطرحوا في بحيرة ماء مجلدة ليموتوا على مهل لان المياه بهذه الجهة ترتفع درجة برودتها في فصل الشتاء جداً بحيث تجمد الدم في عروق ومفاصل الانسان اذا غمرته وتجمد النخاع داخل العظم وتسبب أوجاعاً شديدة في الحشاء واذا جمد الدم والنخاع

تبطل حركة الاعضاء فيموت الانسان . فلما سمع الجنود هذا الحكم ذهبوا الى منقع العذاب بفرح وطفق كل منهم يخلع ملبوسه وصلوا ثم نزلوا في البحيرة كانهم يقصدون ان يرطبوا ابدانهم في فصل حار اما القيصر فصنع حيلة وهي انه بنى حمامات قرب ذلك المكان بقصد ان يلتجي اليه كل من يغلب من شدة البرد ووضع خفيراً اوصاه ان يشترط على من يريد الدخول الى الحمام بالطاعة لامر القيصر فلما كان الخفير ينتظر غاية ما يكون من هولاء الشبان شاهد في السماء ملائكة منحدرين وبيدي كل منهم تاج يضيء ثم نزلوا وطفقوا يوزعون التيجان على رؤوس الجنود ما خلا واحد لم يضعوا على رأسه اكليلاً ولما كان الخفير يرى هذه الرؤيا بانذهال ابصر واذا باحد الجنود خرج من مصاف الشهداء مغلوباً من شدة البرد واقبل الى حمام ودخل فيه ففي حال ما انحل عنه الجليد انحلت اعصابه ومات حالاً فلما رأي الخفير هذا الحادث الخارق العادة اعترف قائلاً انا مسيحي ثم خلع عنه ثوابه والقى بنفسه بين الشهداء فاستمروا ثلاثة ايام في البحيرة وماتوا فلما جاء الجند

ليحملوا جثمهم وينقلوها الى مكان آخر ليحرقوها وجدوا بينهم واحداً لا يزال حياً فشفقوا عليه وتركوه أملا بان يعيش ولما جاءت اليه امه اعطاها علامة السرور واما هي فبدلاً من ان تظهر الضعف النسائي حملته ووضعته على العربة مع رفقته وقبلته قائلة امض يا ولدي مع اخوتك لتشاهد النار الحية بعد ان تحرق بنار وقتاً وجيزاً فرافقته قليلاً ثم رجعت تمجد المسيح

الجيل الخامس (١)

(البابا كيرلس الكبير البطريرك الرابع والعشرون

سنة ٤٠٤ م - ٤٣٥ م)

(١) علوم هذا الاب واحتجاجه عن الايمان ضد يوليانوس الكافر وغيرته ضد اليهود (٢) علاقته مع أساقفة افريقا (٣) تعليم الاباء في المسيح (٤) بدعة نسطور ونصيحة كيرلس له (٥) الحكم ضد نسطور في مجمع مسكوني عام

(١) اعظم هذه الحوادث مأخوذة عن الخريدة النفيسة

AUC - LIBRARY

(١) ان كيرلس هو ابن أخت البطريرك البابا تاوفيلس وقد دعاه خاله الى مدرسة الدين في الاسكندرية حين بلغ من العمر سن الشيبة فلبى دعوته ودخل المدرسة ودرس فيها العلوم الفلسفية التي كان الاباء يرون تعليمها للشبان ضرورياً للدفاع عن الايمان المسيحي ضد الذين كانوا يهجمون عليه ويرشقونه بالتمويهات والاكاذيب ثم ارسله خاله الى برية الاسقيط عند شيخ عابد اسمه سرابمون فتتلمذ له وقرأ عليه سائر كتب الكنيسة واقوال الاباء وارتاض عقله بممارسة التقوى والفضيلة مدة من الزمان الى ان دعاه خاله الى البطركخانه ورسمه شماساً وعينه واعظاً في كنيسة الكاثذرا فاحرز بهذه المهنة صيتاً حميداً واشتهر شهرة بليغة ولما رقي كرسي البطريركية برسامة مجمع أساقفة الكنيسة المصرية له وجه جل عنايته لمكافحة العبادة الوثنية والمحاماة عن الدين المسيحي وبدأ يشتغل بالرد على مفتريات يوليانس الفيلسوف الملك الكافر في مصنفاته العشرة التي كان الشبان الوثنيون يتباهون بها ويفتخرون ويدعون انها هدمت أركان الدين

المسيحي فاستمر الاب يفند ما انطوت عليه هذه المصنفات من الادلة ويرد عليها جملة جملة وبرهاناً برهاناً حتى انتهى من جميعها وحدث ان اليهود الذين كانوا قاطنين في الاسكندرية قصدوا بغضة منهم لشخص القديس وتكرهاً لشهرة صيته ابادة المسيحيين ولذلك أشاعوا ذات ليلة خبراً ان النار اشتعلت في كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يبادروا اليها من كل ناحية مالئين الشوارع كباراً وصغاراً مسرعين لاطفاء النار فانتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقسوة بربرية ولما كشف هذا الامر صباحاً لعموم المسيحيين تجمهروا في الكنيسة عند الاب كيرلس وعزموا على الانتقام بقتل اليهود جميعاً فلما لم يستطع الاب أن يسكن غضبهم تنازل لهم بعد عناء شديد بان يكتفوا بطردهم من المدينة بدون أن يمسوا أحدهم بضرر فهجموا على كنيس اليهود وطردوهم منه واستولوا عليه وما فيه فلما بلغ هذا الامر (لاورستا) حاكم المدينة هاج خاطره على القديس لتنازله بالسماح لاولاده حتى شوشوا

المدينة بطردهم اليهود منها ولم يعلم أنه لو لم يسمح بذلك للمسيحيين لكانوا ارتكبوا جرماً عظيماً أعظم مما ارتكبوا

(٢) ان راهباً بريطانياً اسمه بيلاجيوس هرطق وكان موضوع هرطقته ثلاثة أمور وهي (أولاً) ان خطيئة آدم كانت قاصرة على نفسه ولم تمس أحداً من نسله (ثانياً) ان كل انسان يولد جديداً يكون بمثابة آدم حين خلق وقبل ان يخطيء (ثالثاً) ان كل انسان يمكنه بمجرد قوته الطبيعية وحريته المطلقة ان يبلغ أسمى درجة من القداسة بدون ان يفتقر الى مساعدة النعمة الالهية فجذب هذا المبتدع الى تعليمه الباطل شخصاً اسمه كلستينوس وذهب معه الى افريقا ثم تركه في قرطجنه ورجع الى مصر فقلسطين فاجتمع على كلستينوس مجمع قرطجنه سنة ٤١٢ م وحرمه وأما بيلاجيوس فتبع حزب أوريجانوس ولما شكى ودعى ليحتج عن نفسه في مجمع (لد) اعترف اعترافاً قويماً وأمضى على أحكام مجمع قرطجنه وشجب كلستينوس صاحبه فأبلغ هذا الامر أورسيوس تلميذ أغسطينوس لاساقفة أفريقيا فجمعوا مجمعين وفي كليهما حرموا

بيلاجيوس ورفيقه وكتبوا لاينوشنسيوس اسقف روميه ضدهما فقبل حكمهم ثم توفى هذا الاسقف وأخلفه زوسيموس فالتجأ اليه ذانك الهرطوقيان فقبلهما ودافع عن تعليمهما حين انخدع من ظاهر عبارتهما الملتبسة وكتب لاساقفة افريقه يعنفهم على حكمهم ضدهما وجمع مجمعاً برر المحكوم عليهما وارسل رسالة للافريقيين مملوءة من التبكيت والتعنيف لهم فأقاموا عليه الحجة وعقدوا مجمعاً سنة ٤١٧ م وبمشورة اغسطينوس الشهير اسقف هبو جمعوا مجمعاً آخر في السنة الثانية مؤلفاً من ٢١٤ ونيف وكان البابا عدل عن رأيه وارسل الى هذا المجمع نواباً من عنده ومعهم لائحة تشتمل على اربعة فصول اعظمها وجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا كما هو مقرر في مجمع نيقيا المسكوني فلما امر اريليوس اسقف قرطاجنه رئيس المجمع ان تقرأ اعمال المجمع النيقاوي طلب اليه اولئك النواب ان يأمر بتلاوة تلك اللائحة فتليت ولما سمعها الاباء قالوا ان نسخ اعمال المجمع النيقاوي ليست فيها شيء من دعوى زوسيموس ولكي يرفعوا الشبهة والريب

عن انفسهم قرروا ان تستحضر صور اعمال المجمع الصحيحة الاصلية من كنيسة الاسكندرية والقسطنطينية والانطاكية ثم اختتموا هذا المجمع بالحكم على بيلاجيوس ورفيقه وبعد ذلك ظهر قس افريقي في ابرشية سيكى اسمه ايباريوس اشتهر بالقبائح فحرمه المجمع فاستجار بزوسيموس فقبله في شركته وهو محروم وارسله بتحاريز توصية الى اساقفة افريقا غير ان المجمع نظراً لقانون ٣٦ المتجدد في قانون ١٣٤ من قوانين اسلافه الذي فحواه ان كل اكليروسي يستأنف دعواه ضد اسقفه في عبر البحر لا يقبل في افريقا البتة اعتبروا ان البابا تداخل بطرق المحبة لا الحكم فقبلوا القس ايباريوس وفي هذه الاثناء توفى البابا زوسيموس وخلفه بونيفاتيوس فكتب له المجمع رسالة شرح له فيها ماجراه ووعده ان يحافظ موقناً على ما اشتملت عليه اللائحة التي سلمها له نواب سلفه المذكور فيها وجوب استئناف حكم الاساقفة الى بابا روميه اي الى حين ترد اليهم نسخ مجمع نيقيا الصحيحة من الكنائس الكبيرة حتى اذا وجدت مطابقة لما في تلك اللائحة يثبته ويقر

عليه ويسير بموجبه دائماً وكان الجالس على كرسي الاسكندرية صاحب الترجمة وعلى الكرسي القسطنطيني اتيكوس فأرسل كل منهما نسخ مجمع نيقيا مصحوبة برسالة فقابل المجمع هذه النسخ المرسلة من كيرلس واتيكوس فوجدها مطابقة للترجمة الافريقية الخالية من دعوى زوسيموس وارسلوا من ثم الى البابا بونيفاتيوس تلك النسخ مع الاشخاص الذين احضروها من الشرق فأخذ البابا تلك النسخ وقراها واقتنع بها

وحدث ان ابياريوس رجع الى حالته القديمة فحرمه المجمع وكان بونيفاتيوس قد توفى وقام بدله كلستينوس فاستنجده ذلك القس فقبله البابا وارسله صحبة اسقف الى مجمع قرطجنه مؤكداً عليه ان يغصب الاساقفة على قبول القس فأبى المجمع الا قطعه ولم يكترث بأوامر البابا بل حرر له رسالة بسط له فيها المسألة من الاول الى الآخر ومنها ما يأتي وأما من جهة ارسال أشخاص من جانب قدبنك فلانجد ذلك محدداً في مجمع من مجامع الآباء لان ما أرسل من عندكم قديماً بواسطة أخينا الاسقف فاقستينوس نفسه كان مأخوذاً

من مجمع نيقيه لم نستطع ان نجد شيئاً مثله في أصدق نسخ مجمع نيقية التي تحصلنا عليها من أخينا كيرلس الجزيل القداسة اسقف كنيسة الاسكندريين ومن اتيكوس المكرم اسقف القسطنطينية وقد أرسلت لنا عن النسخ الاصلية وقبل هذا العهد ارسلت منا الى سلفكم المكرم الذكر الاسقف بونيفاتيوس بواسطة القس اينوشنسيوس والابوديا كن مركاس اللذين ارسلت لنا بواسطتهما من قبلك الاسقفين

(٣) كان آباء الكنيسة الشرقيون والغربيون يعلمون في المسيح أنه واحد بالوحدة الطبيعية والاقنومية وكان بعضهم يعبرون عن ذلك بأن اللاهوت اتحد بالناسوت اتحاداً طبيعيا وجوهريا وذاتيا أو بان الاتحاد بين الطبيعتين هو طبيعي الخ والبعض الاخر يقولون بأن الله الكلمة صير الجسد معه واحداً او ان اللاهوت والناسوت هما واحد وغيرهم يقولون ان طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة وكل منهم لكي يجتنب في عبارته ما يتوهم الانسان انه على مذهب ابوليناريوس اللاذقي يجتهد ان يؤيد كمال جوهر الناسوت وان المسيح ذو جسد ونفس

حقيقيين كاملين ولكي يجتنب في قوله ما يوهم انه على مذهب اريوس يجتهد ان يثبت في المسيح حقيقة الجوهر اللاهوتي الكامل. ولكي نتمكن من الوقوف على حقيقة هذه المباديء ندرج هنا اقوال بعض المؤرخين. قال موسهيم المؤرخ الانكليزي (كان دأب العلماء ان يختلفوا في التعبير عن افكارهم في هذا السر فالبعض استعملوا عبارات تدل على تمييز ابن الله عن ابن الانسان تمييزاً عظيماً وعلى وجود شخصين في المسيح والبعض البسوا ابن الله بابن الانسان واعتقدوا باتحاد الطبيعتين وبتركيب طبيعة واحدة منهما فالعلماء السوريون والشرقيون اختلفوا عن علماء الاسكندرية وقال ان افتيخوس الهرم لكي يلاشي معتقد نسطور خصمه الالد شرح التعليم في شخص المسيح على نسق المصريين مقرراً ان في المسيح طبيعة واحدة أي طبيعة الله المتجسد وقال ايضاً ان ديسقورس الذي في كنيسته كانت تعلم نحو هذه الاشياء عينها التي علم بها افتيخس دبر بحذاقة وسياس كل الاعمال حتى انتصر التعليم بطبيعة واحدة متجسدة (قورز ٥ ق ٢ ق ٥ : ٥ و١٣ و١٤)

وقال المؤرخ شارب الانكليزي في الجزء الثاني في الفصل العشرين من تاريخه وبما ان ان مذهب افتيخوس كان منطبقاً تمام الانطباق على مذهب الكنيسة المصرية قام ديسقوروس اسقف الاسكندرية له منتصراً

قال الاب الارشيمندريتي جراسيموس مسرة في الجزء الاول من تاريخ الانشقاق وجه ١٩١ ما هو ان مدرسة الاسكندرية كانت تعتقد بكمال الطبيعة البشرية في شخص المخلص ضداً لتعليم ابوليناريوس وبكمال الطبيعة الالهية ضداً لتعليم اريوس ولكن تعبير معلميها كان غير معين في ايضاح وجه اتحاد الطبيعتين واختلف بعد ذلك عن التعبير الكنائسي المعين فقالوا مثلاً بالاتحاد الطبيعي والاتحاد الشخصي والاتحاد الجوهري بين الطبيعتين وبعضهم نظروا الى الطبيعة الالهية بنوع خصوصي وقالوا بطبيعة واحدة متجسدة وما عنوا بكل ذلك سوى الاتحاد الحقيقي بين لاهوت الكلمة وناسوته وان الاله المتأنس شخص واحد وليس اثنين - وقال في وجه ١٩٢ وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين

في المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديوناسيوس الاسكندري في اواسط القرن الرابع حيث الاعتراف بطبيعتين استناداً على قول الانجيل (والكلمة صار بشراً) وقول بولس (رب واحد يسوع المسيح) ويعترف بطبيعة واحدة للاهوت الغير متألم والناسوت المتألم)

وقد غلط هذا الارشيمندريتي في عزو رسائل يوليوس البابا الروماني الى ديوناسيوس الاسكندري لما بين هذا وذاك من مدة مئة سنة تقريباً فان ديوناسيوس الاسكندري كان في اواسط الجيل الثالث وقد ارتقى الكرسي سنة ٢٤١ م وتوفى سنة ٢٦٢ م راجع وجه ١٤٢ من الجزء الاول وأما يوليوس الاسقف الروماني فكان في أواسط الجيل الرابع وكان من المعاصرين له من بطاركة الاسكندرية اثناسيوس الرسولي الذي رقد بالرب سنة ٣٦٤ م وقد اقتفى أثر الارشمندريتي بغلطه المرحوم القمص فلتأوس في كتاب الحجة فاستحق هذا المقتدي وذاك القائد ان يصوب نحوهما صاحب كتاب سقوط الحجة سهام الملامة ويبين غلطهما حتى التزمت

جريدة الحق ان تستدرك اصلاح هذا الخطاء في عدد ١٥ من السنة الثالثة والصحيح ان رسالة يوليوس كانت الى ديوناسيوس اسقف قبرص لا الى ديوناسيوس اسقف الاسكندرية وهذا نعلمه من رسالة الانبا يوحنا البطريرك الانطاكي التاسع والثمانين من عدد بطاركة انطاكية التي ارسلها وهو مأسور في بلاد الروم الى البابا مينا الاسكندري البطريرك الحادي والستين من عدد بطاركة الاسكندرية وضمنها عدة اقوال للآباء تؤيد القول بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسدة وقد أورد من اقوال يوليوس أسقف رومية ثلاث عبارات كل واحدة تتضمن الاعتراف بالطبيعة الواحدة واحدى هذه العبارات من رسالته الى اسقف قبرص وهي قول انبا يوحنا (وله ايضاً من رسالته الى ديوناسيوس اسقف قبرص يضطرون اذا اعترفوا بطبعين ان يسجدوا للواحد والا يسجدوا للاخر وان يعتمدوا بالالهي والا يعتمدوا بالناسوت)

ولكيما تقف على اقوال الاباء المؤيدة لمباديهم في الاعتقاد بسر التجسد كما اشرنا الى ذلك واثبتناه من المؤرخين نذكر

شذرات من تلك الاقوال على سبيل الاعتبار ونستغني بها عن النصوص المطولة وهي هذه

قال القديس اغناطيوس البطريرك الانطاكي الاول الشهيد في رسالة له

(نحن نؤمن ان المسيح الاله تالم بالجسد كالانسان وهو غير متألم كالاله) راجع وجه ٧٨ من الجزء الاول

قال اغريغوريوس العجائبي (الله الحقيقي الغير جسد ظهر في الجسد وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل ليس هو شخصين ولا طبيعتين ولا نقول انا نعبد رابوعاً الله وابن الله وانساناً والروح القدس ومن اجل ذلك نحن نحرم المنافقين الذين يعتقدون هذا الاعتقاد ويقولون بانسان في تمجيد اللاهوت اما نحن فنقول ان كلمة الله صار انساناً من اجل خلاصنا لتنال صورة الانسان السماوي ويصيرنا آلهة كصورة الابن الحقيقي ابن الله وهو بالجسد ابن البشر ربنا يسوع المسيح ملكنا الى ابد الابدين) كتاب اعتراف الاباء

قال القديس يوليوس بابا روميه في رسالته الى

ديوناسيوس اسقف قبرص التي اشرنا اليها سلفاً

(انا متعجب لما سمعت عن قوم انهم يعترفون بالسيد انه اله تجسد وهم ساقطون في البدعة التي ادخلوها رديئاً من جهة اصحاب بولس السميساطي فهم حينئذ عبيد له اذ يقولون ان واحداً هو الذي من السماء يعترفون به انه اله وآخر هو الذي من الارض يقولون عنه انه انسان واحد غير مخلوق وآخر مخلوق واحد موجود في كل زمان وآخر محدث بالامس واحد هو رب وآخر هو عبد فهم منافقون ان سجدوا للذي يقولون انه عبد ومخلوق أو سجدوا للذي اشترانا بدمه فالذين لا يعترفون بالاله الذي نزل من السماء انه تجسد من عذراء وانه واحد مع جسده هم يقلقون ذاتهم باطلاً ويذهبون في قول المنافقين الذين يقولون على ما بلغني انه ذو طبيعتين وقد بينه يوحنا بصحة وواضح ان الرب واحد عند ما قال ان : الكلمة صار جسداً وبولس الرسول ايضاً عند ما قال : انه رب واحد يسوع المسيح الذي به كان كل شيء : فالذي ولد من مريم العذراء القديسة اذ كان قد سمى واحداً وحيداً

وهو الذي به كان كل شيء فهو اذاً طبيعة واحدة وشخص واحد وليس هو منقسماً لاثنين بل مثل الانسان الذي هو طبيعة واحدة كذلك المسيح الذي صار في شبه البشر فاذا كانوا لا يعرفون الواحد بالاتحاد فقد يمكنهم ايضاً ان يقسموا الواحد كثيراً ويقال انه طبائع لان الجسد مجموع من اجزاء كثيرة من عظام وعروق ولحم وجلد واظافر وشعر ودم وروح وهذا كله متغير من بعضه بعض وهو بالحقيقى طبيعة واحدة واللاهوت والجسد هو واحد لا ينقسم الى طبيعتين وبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين ان يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للاخرى ولا يعتمدوا بالتي للاهوت ولا يعتمدوا بالتي للناسوت ان كنا نعتمد بموت الرب فهي طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم لكي تكون صبغتنا هكذا في الله وتكمل بموت الرب. وقال أيضاً في مقالة له على التجسد (وان الكلمة صار جسداً كما هو مكتوب فانه اذا سجد أحد للكلمة فقد سجد للجسد واذا سجد للجسد فقد سجد للاهوت هكذا الرسل أيضاً لما سجدوا للجسد

المقدس فانهم سجدوا لله الكلمة وهكذا الملائكة كانوا يخدمون شكل الجسد ويعرفون أنه ربهم ويسجدون له وهكذا لما ولدت مريم العذراء الجسد فانها ولدت الكلمة ولاجل هذا هي والدة الاله بالحقيقة ولما صلب اليهود الجسد فالله الكلمة المتجسد هو الذي صلب وليس في الكتب الالهية فرق بين الكلمة وجسده بل هو طبيعة واحدة صورة واحدة هو كله الاله وهو كله الانسان وهو فعل واحد اللاهوت والناسوت معاً)

وقال أيضاً (اذا كان الفاعل واحداً فيكون الفعل واحداً أعني حركة الفاعل) عن كتاب اعتراف الآباء

قال اغريغوريوس الثاولوغوس (ليس الذي ولدته مريم انساناً معرى من اللاهوت ولا ظهر بدء لاهوته في ولادته من مريم لان له البدء والتمام والسلطان وهو الله الكلمة من قبل تجسده ومن بعد ان تجسد وولدته العذراء هو هو هذا الواحد لم تنتقل طبيعة لاهوته الى طبيعة ناسوته ولا طبيعة ناسوته الى طبيعة لاهوته بل هو اقنوم واحد طبيعة واحدة سجدت له المجوس لان وحدانية الله الكلمة ليست بعدد

طبائع ولا اقانيم فقد ولد من عذراء وحفظ أيضاً عذريتها وبتوليتها بلاتغيير لتكون أعجوبة جعلها صادقة ومهدية لامانة عظيمة هو ابن واحد وليس للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد ولا هو مفترق ولا مختلط في ما اجتمع من الجهتين طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية وصارتا واحداً شخصاً واحداً ليس لهذا الاقنوم الواحد تغير بل هو كامل في كل شيء النفس والعقل وسالم من كل خطية)

قال القديس فم الذهب في المقالة الثالثة من تفسير افسس فافهم أنت كم تدر الفرق ما بين طبيعة الله وطبيعة الانسان وبهذا النقص صعد به الى الكرامة التي لا يقدر أحد ان ينطق بها . هذا نقول لاجل الذي هو منا هذا الذي أقامه الله من بين الاموات هذا الذي هو واحد مع الله الكلمة بالطبيعة والاقنوم فليصمت المخالفون ولا يعيبوا قولي انه انسان واحد لاني ما أقول انه انسان منفرد عن الله الكلمة ليصير اثنين ابن الله وابن انسان ولكني أبين الامر ان الله الكلمة أخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل في

كل شيء وله أقنومه فيه أعني الكلمة فلاجل هذا نقول عنه انه طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسداً وصار انساناً لكن وان كنا نقول ان ابن الاب الحقيقي هو واحد فنحن أيضاً نعرف الذي هو منا المتصل بالكلمة بوحدانية لا ينطق بغير افتراق وكما ان الجسد لم ينقل الى جوهر اللاهوت هكذا لم ينقل اللاهوت للجسد هو ابن المي وهو انسان معاً قل (الرسول) اني لم أفتر عن ذكركم في صلواتي الى اله سيدنا يسوع المسيح واب المجد أترى المسيح الابن ناقص مجد كلا ولا احد مجنون يستجرئ ان يقول هذا بل هو يبين بهذا ان المسيح صار انساناً بالحقيقة كما انه أيضاً لما انبعث اظهر التجسد الذي قبله من هذه الجملة الواحدة فقال لتلاميذه قبل صعوده الى الاب الذي لم يفارقه قط الهي الذي هو الهكم فحتى اذا سمعوا هذا لا يظنون ان الناسوت وحده تكلم بهذا بل هو الله الكلمة الذي صار انساناً بدأ وقال : اني صاعد الى أبي : وبعد هذا قال : والهي أي اني اله وانسان معاً وأنا واحد فقط أقول هذا والآخر لاني قبلت كل ما

للبشر مما ليس فيه خطية أي اني أخذت الناسوتية بالحقيقة وهكذا دعوت أبي الهي كما يليق بالجسد الناسوتي الذي صيرته واحداً معي (عن كتاب اعتراف الاباء)

قال القديس باسيليوس الكبير في تفسيره قول الحكيم: ان الرب خلقني :

(لسنا نقول عن الابن انه اثنان ولا نقول ان اللاهوت (منفرد) بذاته ولا الناسوت بذاته بل نقول طبيعة واحدة وأقنوم واحد لان بطرس السليح لم يذكر طبيعتين لكن اعترف وقال : ان المسيح تألم من أجلنا بالجسد : وايضاً من جهة ولادته بالجسد بشر الملاك الرعاة قائلاً : انه قد ولد لكم اليوم مخلص المسيح الرب : وقوله ان اليوم ولد ليس يعلمنا انه ابتدأ وجوده لانه قبل الدهور كلها بل الامر ظاهر جداً انه يعلمنا انه اليوم ولد انساناً. عن كتاب اعتراف الاباء

وقال اغريغوريوس نيصص اخو باسيليوس شارحاً قول الاب هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت :

(ليس هو ابني وآخر ابن مريم ليس هو واحداً الذي

ولد في المغارة وآخر غيره الذي سجدت له المجوس ليس هو الذي اصطبغ وآخر لم يصطبغ بل : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت : وهذا هو الواحد وحده الذي تعقلونه وتنظرونه هو ازلي في كل وقت وصار الان تحت الزمان هو الواحد وحده من جوهري باللاهوت وهو من جوهركم بالناسوت في كل شيء سوى الخطية لا تطلبوا لتجسده على الارض ابا ولا تطلبوا له في السماء أما .. لا تفرقوا لاهوته من ناسوته لانه بعد اتحاده غير منفصل وغير مختلط لا تفرق ما هو فيه بل أعرف ما هو فيه لا تجعل شخص المسيح شخصين لا تقسم الوحيد تصيره وحيدين لا تجعل أبني ناحية وما قد أتخذه ناحية لا تجسر على ان تقطع الوحدانية الغير المفترقة التي لا يمكن ان تزول هوا اله وهو انسان معاً . هو من البدء اله في كل زمان وصار انساناً وهو باق الها وهو انسان وهو هذا الواحد فقط وفي هذا الزمان أراد ان يأخذ من ذرية ابراهيم جسداً . فاذا رايت ابني هذا قد جاع أو عطش أو نام أو يمشي أو يتعب أو يجلد أو يوثق

بالمسامير أو يموت بارادته أو يحرس في قبر كميت فلا تحسب هذه لجسده وحده . واذا رأيت ابني هذا يشفي المرضى ويطهر البرص بالقول ويصنع اعيناً من طين ويخلق الطبيعة دفعة أخرى بارادته فلا تحسب هذه للاهوته وحده . لا تظن بالافعال العالية انها لواحد وبالوضيعة انها لآخر بل هذه وتلك لهذا الواحد الاوحد . له كل ما للاهوت وله ايضاً كل ما للناسوت له العجائب وله الآلام أيضاً وهو واحد فقط يصنع عجائب لاهوته ويقبل آلام ناسوته) عن كتاب اعتراف الاباء

قال بروكلس بطريرك القسطنطينية بعد نسطور (هو حمل اكليل الشوك وأزال قضية الشوك هو هو كان في حضن أبيه وهو هو في مستودع البتول هو كان محمولا على ذراعي أمه وهو محمولا على أجنحة الرياح مسجود له من الملائكة وجالس مع العشارين الشار وبيم لم يجسروا ان ينظروا اليه وبيلاطس يسأله العبد يلطمه بالكفوف والخليقة ترتعد منه هو على خشبة الصليب وهو مد السماء كالجلد معدود مع

الاموات وهو سبي الجحيم يهان كالطاغي أسفلا ويتمجد فوقاً بمجده القدوس . هكذا يعترف الارثوذكسيون ولا يقولون اثنين الواحد الغير مفترق ولا مسيحين ولا أقنومين ولا طبيعتين بل كما قلت طبيعة واحدة أقنوم واحد لله الكلمة المتجسدة نبشر به باعلان ونسجد له بجسده سجدة واحدة)

عن كتاب اعتراف الآباء وعن كتاب الايمان الصحيح طبعة بيروت وجه ٢٠. قال القديس ثاودوطس أسقف انكوريا في خطبة له على التجسد تليت في مجمع افسس وسجلت بالجزء الثالث من تاريخ هذا المجمع (ان الاتحاد يفعل هذا اذ يقرن بكل من الاثنين الامور التي هي للآخر فلذلك لما كان الهاً صار انساناً لكي يصير الانسان الهاً بارتفاعه بهذا الاتحاد الى المجد الالهي لكي يكون واحداً عينه الممجد بالمجد الالهي والمتحمل الامور البشرية فاعترفوا اذاً بهذا المعنى مقرين باتحاد اللاهوت والناسوت لان الذي اتخذ لا يسمى اثنين بل واحداً وان قسمتهما بالعقل وتأملت كل واحد منهما بمفرده فقد حللت الوحدة والاتحاد لانه من الممتنع حفظ الوحدة

والاتحاد فلا تتأمل اذاً بكل واحد بمفرده فالذي قد اتحد قد صار واحداً بغير انحلال ولا يصير اثنين وربما تقول انني أقسم وأفصل بالفهم فقط فمن ثم يبان لي أنك قد حللت الاتحاد بالفهم نفسه لانك بما تفصل الواحد من الآخر بعينه تفصل الاتحاد فلماذا اذاً تحل التدبير المنعقد فاهماً اثنين وراذلاً الاتحاد لكن كما يقول الرسول العظيم : ان يسوع المسيح هو أمس واليوم وهو الى الابد : قائلاً ان الواحد نفسه هو اله أزلي وانسان له ابتداء من الزمان فاحد هذين الامرين كان في الوجود سابقاً والآخر صار من بعد فان قلت كيف صار الوحيد عبداً باقياً على ما كان وصائراً ما لم يكن أجبتك ان كنت تريد ان تعلم هذا فاعلم انه صار ولكن كيف صار فلا يعلم ذلك الا صانع العجائب وحده)

ومن هو هذا الغني وبأي شيء كان غنياً وكيف تمسكن لاجلنا ليقل لنا اولئك الذين يفصلون الانسان من كلمة الله ويفصلون المتحد بذكر الطبيعتين قائلين ان المسيح هو شيئان ويوردون لاجل المحاماة عن انفسهم تلك اللفظة أي بالفكر

فقط فقل لي اذاً من هو الذي كان غنياً فتمسكن بمسكنتي
أهذا الذي ظهر انساناً الذي تفصله انت من اللاهوت لكن
لم يكن هذا غنياً قط بل كان فقيراً مولوداً من الذين هم فقراء
فمن هو اذاً ذلك الغني الذي تمسكن لاجلنا وباي شيء هو
غني تقول انه هو الله وكان غنياً بخليقته فاذاً الله أيضاً قد
تمسكن اذ خص لذاته مسكنة الطبيعة المنظورة لانه هو نفسه
كان غنياً باللاهوت وتمسكن لاجلنا فانك لا تستطيع تقول
ان الانسان الذي كان فقيراً بالطبيعة والمال هو غني ولا ان
الغني بجلال اللاهوت قد تمسكن ان لم تخص له البشريات لذلك
اذ خص الرسول مجد اللاهوت للآلام للبشرية ولم يرد ان
يفصل بالفهم ولا ان يقسم بالعقل الاشياء المتحدة
قال انه هو عينه غني باللاهوت وقد تمسكن بالآلام
وانه بذاته شيء وشيئاً آخر الذي احتمله لاجلنا فان
كان الذي هو غني باللاهوت يتمسكن بالمسكنة البشرية
فكيف لا يحتمل أيضاً بقية الامور لما أراد مرة واحدة ان
يصير انساناً لاجل حنوه وهذه لا نزال نقولها الى الآن

أما أنت فانظر المسكن الجزيل الفقر مسكن ذاك الذي هو غني في السماء انظر مذود الجالس على الكاروبيم أنظر من قد ربط البحر بالرمل ملتفاً باللفائف أنظر فقره هنا أسفل وتأمل عناه في العلاء فانك من هذه الجهة تعاين عظم النعمة والحنو ان افتكرت في حلم الله العظيم بهذا المقدار لانه في هذا الفقر نفسه يظهر غنى لاهوته لما بينه النجم فقيراً المجوس وقاد البرابرة الى مذود فقير بل الملائكة أيضاً بشروا الرعاة بهذا الفقير فرحين ورتلوا بغنى لاهوته لان المجوس أيضاً قدموا لمن كانوا يبصرونه لباناً كأنه لاله غير فاصلين طبيعة من طبيعة ولا قاسمين بالفكر الذي اتحد مرة بل لما علموا بالعجوبة ان الذي ظهر هو اله قدموا لباناً مشيرين بهذه الهدية الى رتبته الالهية ولا الملائكة فصلوا بالفهم ذاك الكلمة المولود من الله كما تقول بل اذعلموا ان المنظور بالعين والمفهوم بالعقل هو هو عينه كانوا يصرخون قائلين . المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة . ولم يقولوا شيئاً ويفتكروا بشيء آخر كما تفعل ولا اعترفوا بالكلام بان يسوع المسيح

واحد وقسموه بالفكر كما تفعل أنت أو تفتكر أفكاراً تقاوم كلامك بل مجدوا الهاً واحداً)

(فنعترف اذاً بانه عينه اله وانسان اله قبل الدهور وانسان مصنوع من الولاده اله مساو للآب في السرمدية على الدوام وانسان بكونه له ابتداء من الولادة ليس باثنين بل هو واحد ولا نقول واحداً ونفهم اثنين لانه لا يجب ان يضاد الفهم القول فلا نفهم اثنين ونعترف بواحد لان المتحد بالتدبير والاعجوبة لا يفصله القول ولا الفهم وان كان فكر ما يفصل ما قد اتحد فقد فهمه منفصلاً ويصير الفهم كاذباً اذ يفصل ما قد اتحد دائماً فيجب اذاً ان يكون عقلك موافقاً لقولك فلا تقل اذاً اثنين منفصلين بفصل ما لانك ان جمعتهما بالقول فلا تفصلهما بالفهم وان فصلتهما بالفهم فقد انكرت الوحدة فاذاً لا تمد الخطاب الى طبيعتين مفترقتين اذ جعل الله الوحدة العظيمة عجيبة فآمن بالعجب ولا تفحص بالدلائل العقلية عما صار ولا تحل العجب مجتهداً في ان تجد دليلاً عقلياً لانه لا يبقى عجباً ذلك الذي يعرف دليله ان كان دليل الامر

الذي صار تراه ظاهراً فلا يصير ذلك الامر آية وعجباً وان كان ذلك الامر آية وعجباً فاترك الدلائل واقبل الايمان واعترف برب واحد يسوع المسيح انه اله وانسان معاً غير منفصل بالدلائل ولا بالفهم لئلا ينكر التدبير المنقذ اذا فصلنا بالدلائل الاشياء التي قد اتحدت لانه ان كان يعرف اتحاد الله والانسان والتدبير فمن فصل الوحدة فقد انكر التدبير فلنؤمن اذاً بالتدبير فلنؤمن بالعجائب لكي يمنحنا المسيح ملكوت السموات اذا اقررنا بهذه النعمة)

قال اثناسيوس الرسولي في مقالة له على التجسد استشهد بها كيرلس الكبير مراراً وقد وردت في الجزء الاول والثالث من تاريخ مجمع افسس وفي كتاب اعتراف الاباء وفي كتاب منارة الاقداس للمفريان اغريغوريوس بن العبري نعترف بابن الله المولود من الاب خاصياً أزلياً قبل كل الدهور وولد من العذراء بالجسد في آخر الزمان من أجل خلاصنا وهذا الواحد هو الاله وهو ابن الله بالروح وهو ابن الانسان بالجسد وليس نقول عن هذا الابن الواحد انه طبيعتان واحدة

نسجد لها بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد ونسجد له مع جسده سجدة واحدة ولا نقول باثنين واحد هو ابن الله بالحقيقة وله نسجد وآخر هو انسان من مريم وليس نسجد له وانه صار إبن الله بالموهبة مثل البشر بل الذي هو من الله هو الله كما قلت بدءاً وهو ابن واحد لله هو هو المولود أيضاً من مريم بالجسد في آخر الزمان وليس هو آخر كما قال الملاك للعذراء التاوطوكس (والدة الاله) مريم عند ما سألته قائلة كيف يكون لي هذا وأنا لا أعرف رجلا فقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك من اجل هذا الذي تلدينه قدوس هو وابن العلي يدعى فالذي ولد من العذراء القديسة هو ابن الله بالطبيعة وهو اله بالحقيقة وليس بالنعمة فالذي يعلم غير هذا التعليم الذي هو من الكتب الالهية ويقول ان ابن الله هو غير الانسان المولود من مريم ويجعل ابناً بالنعمة مثلنا حتى انه يكون اثنين واحداً طبيعياً هو ابن الله وآخر بالنعمة هو الانسان الذي من مريم العذراء أو ان اللاهوت استحال الى الناسوت واختلط معه أو تغير أو ان

لاهوت الابن تألم او ان الجسد الذي للرب غير مسجود له كأنه جسد انسان فقط ولا يقول انه مسجود له لانه جسد الرب الاله فهذا الكنيسة المقدسة تحرمه اذ سمعت من رسول ابن الله وهو يقول : ان بشركم أحد بغيرما سمعتموه منا فليكن محروما :

وقال في رسالته الى ابيكتيتوس وقد دونت في الجزء الثاني والثالث من اعمال مجمع أفسس المسكوني (كيف يتجاسر الذين يدعون مسيحيين على ان يشكوا في هل ان السيد الذي ولد من مريم هو ابن الله بالجوهر والطبع وانه بحسب الجسد هو من زرع داود من جسد القديسة مريم ومن هم الذين يتجاسرون بهذا المقدار حتى يقولوا ان المسيح الذي تألم وصلب بالجسد ليس هو برب ولا بمخلص ولا اله ولا ابن الاب

وقال في رسالته الى جوبيان الملك : انه يجب ان نعتقد بطبيعة واحدة واقنوم واحد اله الكلمة المتجسد المتأنس ومن لا يقول كذلك فانه يخاصم الله ويحارب الاباء القديسين :

عن كتاب اعتراف الاباء ومنارة الاقداس

قال كيرلس الاسكندري في رسالته الى متوحدي مصر : ان عمانويل الرب الواحد يسوع المسيح مركب من شيئين أي من اللاهوت والناسوت فهو الابن الواحد الحقيقي الطبيعي الذى هو اله وانسان معاً :

وقال في رسالته الى تاودوسيوس الملك اننا لا نعرى الناسوت من اللاهوت ولا نعرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذى لا يمكن تفسيره بل نعترف بان المسيح الواحد هو من شيئين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف في الغاية

وقال في رسالته الى أفدوكيا زوجة الملك تاودوسيوس وأخته بلخاريا (واما كيف ان ذلك الكلمة صار شيئاً واحداً معنا فهو بالحقيقة على الوجه نفسه بحسب العينية الذاتية الطبيعية ولما كان الطبع الالهي متباعداً عن الخليقة بعداً هذا مقداره حتى انه لا يستطيع ان يجتمع ويتحد معه بالذات فبأي وجه

اذاً صار واحداً معنا بالطبع ذلك الذي يفوق الخليقة بالكلية نعم ان الكلمة صار انساناً لكي يصير معنا واحداً بحسب حال الطبع البشري كما انه واحد مع الاب من جهة طبع الالوهية فبهذا الوجه نكون أيضاً كاملين مع الله الواحد

وقال في جوابه لتاودريطس أسقف كورش صديق نسطور حين اعترض على الرأس الرابع من رؤوسه الاثني عشر (فاذا كنت لا تكذب بقولك ان الرب يسوع المسيح هو واحد وهو عينه اله وانسان فلماذا تقسمه ولا تستحي من ان تقول ابنان أترى لا يكونان اثنين ان كان الذي له علم بالمدار ليس هو ذلك الذي يعلم الجميع وان كان الذي يقبل جزءاً من الوحي ليس هو ذلك الكامل في الحكمة ويعلم مقدار ما يعلم الاب واما ان كان هو عينه واحداً لاجل الاتحاد الحقيقي وليس هو آخر وآخر بانقسام وانفصال فلماذا تنسب اليه على كل الوجوه المعرفة والتباين والظن به بعدم المعرفة تعالى الله عن ذلك لانه يعلم هو ايضاً علماً الهياً بما انه حكمة الله ولانه قبل قياس الناسوت الغير العالم فيخص هذا

أيضاً لذاته بوجه تدبيري مع الآخرين ولو انه لم يكن انه يجهل شيئاً بل كان عالماً بكل شيء مع الآب كما قلت آنفاً

وقال في جوابه لتاودوريطس المذكور رداً لاعتراضه على الرأس العاشر (أتظن ان القديس بولس قدغش المطهرين بالايمان اذ قال علانية عن الوحيد لانه لما كان غنياً تمسكن لاجلنا) حاشا لان المنادي بالحق لا يقول الا أموراً حقيقية على كل الوجوه فكيف اذاً تمسكن لانه لما كان الهاً بالطبع وابن الله الاب صار انساناً وولد من زرع داود بالجسد وقبل قياس العبد أي الناسوت ذاك الذي كان له صورة الله الاب وبه جميع الاشياء وفيه كل شيء وهو خالق الجميع واذ صار انساناً فلم يستنكف من قياس الناسوت . فان قلت انه أمر حقير عند الله الكلمة وغير لائق له بالكلية البكاء والخوف من الموت والاستعفاء من الكأس وان يكون عظيم الاحبار أجبتك نعم أنا أيضاً أقول ان هذه الامور حقيرة بالطبع والمجد الالهي العالي لكننا نتأمل فيها المسكنة التي احتملها طوعاً لاجلنا لانه بمقدار ما يبين لنا ذل الاخلاء أمراً ثقيلاً بمقدار ذلك نتعجب من

محبة الابن نحونا لان الذي قلت عنه انه حقير فقد فعله لاجلك يا هذا باختياره قد بكى بكاء بشرياً ليمسك دمعك وجبن بالتدبير وسمح للجسدان يحتمل احياناً الامور الخاصة به لكي يجعلنا جزيلي الشجاعة واستعفى من الكأس لكي نذم بالصليب نفاق اليهود ويقال عنه انه ضعف بالجسد لكي تبطل به عن أن تكون ضعيفاً . قرب طلبات وتضرعات لكي تجعل طلباتك قادرة ان تدنو من مسامع الاب نعس لكي تتعلم أنت الا تنعس في التجارب بل تكون مجتهداً بزيادة في الصلوات قل لي هل تخاف من جهة حبرية مخلصنا يسوع المسيح هل تقول انه غير لائق لله البشري ان يخدم ذبيحة بوجه بشري لاجل التدبير فانزع اذاً الاقنوم وانكر علانية تأنس الكلمة الذي لاجله دعى أيضاً عظيم أحبار * هل تراه مقرباً للآب كأنه اله آخر أفضل منه هل نظرته يذبح ذبائح نظير أولئك الذين أخذوا من الناس ويستطيعون ان يؤلموا مع الجهال والضالين من أجل أنهم لابسون ضعفنا أيضاً . ألم تنظر انه يقدس الايمان واعتقاد الايمان من الجميع لذاته وللاب القدوس

في الكل. قل لي هل تظن انه من عادة الذبيحة البشرية ان تلتمس الايمان من أولئك الذين يقربون ذواتهم بالروح كرائحة الطيب الطيب فتأمل المسيح كائناً الهاً ولو خدم الكهنوت بوجه بشري لاجل التدبير حيث انه يجالس الله الاب بهياً في منابر عالية)

(يقول تاودوريطس في منتهى كلماته انه عظيم الاحبار هو ذاك الذي من زرع داود المتحد معه كلمة الله اتحاداً غير منفصل . فكيف تقول ان كلمة الله متحد مع ذاك الذي هو من زرع داود ان كنت تخص وظيفة عظيم الاحبار الى ذلك الذي هو من زرع داود لانه ان كان الاتحاد حقيقيا فليس اذاً باثنين بل انهما مسيح واحد وحده من كليهما)

فقد اتضح انهم يتظاهرون بانهم يعترفون بالوحدة خادعين عقول الساذجين وانما يعتقدون بالاقتران الذي هو من خارج وبالنسبة التي كانت لنا أيضاً لما صرنا شركاء الطبع الالهي)

من كتابه في تجسد الكلمة (فاذاً متى اتفق شيئان متخالفان واتحدا بتركيب وقيل ان أحدهما حال في الاخر فلا

يجب ان يقسما الى اثنين ولا ينبغي ان ينزع بالاتحاد من بينهما ولو سمينا الاتحاد باسم ذاتيهما

من رسالته الى كاكيوس أسقف ميليتيني (اذا أفتكرنا في الاشياء المؤلف منها الابن والرب الواحد يسوع المسيح نقول انها طبيعتان متحدتان ولكن بعد هذا الاتحاد اذ قد نزع الانفصال من الطبيعتين فنؤمن ان طبيعة الابن واحدة بما انه واحد لكنه متأنس ومتجسد فمن ثم لما يقال عن الله الكلمة انه متأنس ومتجسد يبطل كل وهم بالاستحالة . فمن ثم لما يفحص أحد بحرص عن وجه التجسد يفتكر العقل البشري في شيئين يتحد أحدهما مع الاخر بوجه لا يوصف وبغير اختلاط لكنه لا ينفصل المتحدين البتة بل يؤمن ويسلم بالواجب انه اله وابن ومسيح ورب واحد من كليهما)

وقال في رسالته الى القس أولوجيوس القسطنطيني (نحن نقرن الطبيعتين بالاتحاد ونعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد أخيراً نقول انها طبيعة واحدة لابن الله المتجسد . فمن ثم ان كنا نقول اتحاداً فلا ريب اننا نقر بان

ذلك الاتحاد هو اتحاد الجسد ذي النفس العاقلة مع الكلمة .
وهكذا يفهم أولئك الذين يقولون طبيعتين فاذا ثبت الاتحاد
فلا تفرق الاشياء التي قد اتحدت بعضها مع بعض بل يكون
المسيح واحداً وطبيعته واحدة بما انها طبيعة الكلمة المتجسد
فبهذا اعترف الشرقيون ولو أنهم استعملوا كلمات عويصة
قليلا لان الذين يعترفون بان الكلمة الوحيد المولود من الآب
هو نفسه ولد أيضاً بالجسد من امرأة وان العذراء القديسة
هي والدة الله وان أقنوم المسيح واحد ولا يعترفون بابنين ولا
بمسيحين بل بواحد فقط فكيف يوافقون نسطوريوس . . .
وأما الشرقيون فلا يقولون شيئاً مثل هذا بل انما يميزون
الالفاظ فقط ويميزونها من حيث أنهم يقولون ان بعضها
تليق للاهوت وبعضها للناسوت وبعضها لكليهما معاً وما .
لانه يوجد فيها ما ينبغي لله وللانسان معاً من حيث ان جميعها
تقال عن أقنوم واحد وأما نسطوريوس فلا يقول هكذا لانه
يخص بعضها لكلمة الله بمفرده كأنه ابن آخر . والاقرار
باختلاف الالفاظ هو شيء واختصاص ألفاظ مختلفة لاقنومين

كان أحدهما ليس هو الآخر هو شيء آخر)

قال في رسالته الى واليريانوس الاسقف (ان الله الكلمة اشترك نظيرنا باللحم والدم من حيث ان الله صار انساناً وأخذ جسدنا وخصه لذاته كما ان كل انسان مناموَلف من نفس وجسد وهو واحد هكذا نعترف بانه ابن واحد ورب واحد لان الانسان له طبع واحد وأقنوم واحد ولو كان مؤلفاً من أشياء مختلفة متنوعة لانه من الواضح ان الجسد هو شيء مختلف من النفس لكنه مخصوص بها ويكون معها أقنوم انسان واحد)

وقال فيها (أما نحن فيكفينا للحق ان نفتكر ان الجسد الذي صار خاصاً بالله محيي جميع الاشياء له قوة الكلمة نفسه المحيي وفعله وانه قد نال مجداً لا يوصف ولا يدنى منه لكن الذين قد نووا ان يذهبوا هذا المذهب (النسطوري) ليس بعجب ان كانوا يشتمون الكتب المقدسة شتائم أخرى أيضاً لانهم ينزعون عن أقنوم الوحيد الشتائم التي قبلها واحتملها من اليهود وموت الجسد الذي احتمله ويخصونها للمولود

من امرأة كأنه ابن آخر مفرز)

وقال فيها مسفهاً رأي الذين يعتقدون باقنوم واحد وطبيعتين (وما من أحد يتجاسر على ان ينكر اننا نلنا المصالحة بالمسيح وانه هو سلامنا لانه هو الباب والطريق : وفيه قد حل كل ملء اللاهوت جسدياً : لكن الحاذق في التأمل والشديد في الكذب يصغى باذنيه قائلاً ان كان الساكن آخر والمسكون فيه غيره فكيف يمكن ان لا تقسم الجوهرين وان لا تقول ان كلاً منهما قائم بذاته منفرداً ثم قل لي اين يكون الاقنوم الواحد لانهم يتظاهرون بانهم يثبتون أقنوماً واحداً فقط ألا يعلمون انه اذا كان جوهران بذاتيهما منفردين يكونان على كل حال أقنومين أيضاً)

هذه الشهادات منقولة عن الجزء الثالث من تاريخ مجمع أفسس الذي أحضره المرحوم رزق بك لوريا من رومية

وقال هذا القديس في رسالته الاولى الى سوكيسس أسقف الهيسورية فاذا افتكرنا في معنى التأنس نرى طبيعتين اجتمعتا باتحاد من غير افتراق ولا امتزاج ولا استحالة . وفي

الوقت ايضاً الذي نعقل فيه هذا فليس نفسد شيئاً من الاتحاد اذ نقول ان من طبيعتين صار الاتحاد ومن بعد الاتحاد لا نفرق بين الطبيعتين ولا نقسم الواحد الغير المنقسم ونجعله اثنين بل نقول انه ابن واحد كما قال الآباء انه طبيعة واحدة الكلمة المتجسد)

وقال في رسالته الثانية لهذا الاسقف مسفهاً رأي الذين اتهموه بالاختلاط والامتزاج بداعي كونه قال بقول الآباء : طبيعة واحدة الكلمة المتجسد :

وهم يتفوهون بكلام غزير اعني الذين يقولون ان كان للكلمة المتجسد طبيعة واحدة فهذا الفعل يضاف اليه انه اختلط او امتزج ان كانت الطبيعة نقصت او خفيت وهي ما نقصت على ما يقولون ولا خفيت وقولنا انه تجسد يكفي في تبيين انه صار انساناً فلو سكتنا عن هذا لكانت وقيعتهم تجد السبيل)

وقال فيها مسفهاً رأي الذين يعتقدون بطبيعتين بحجة كونه تألم عنا بجسده (انا اسمع ايضاً انهم يسألون عن شيء

آخر بعد هذا وهو ان الذي يقول ان الرب مات بالجسد فهو يجعل الموت لما لا نطق له بغير ارادته واذا قال انه مات بجسد له نفس عاقلة كان موته بارادته فليس أحد يمنعنا ان نقول انه تألم بطبيعة الناسوت واذا كان هذا حقاً فكيف لا نستجيز ان نقول ان له طبيعتين من غير افتراق حتى اذا قال واحد ان المسيح تألم عنا بالجسد فليس هو شيئاً آخر يقول الا ان المسيح تألم عنا بطبيعتنا وهذا القول بالحري يعاند الذين يقولون (انه طبيعة واحدة تجسدت) ويعاندهم ويريدون ان يجعلوا هذا القول باطلا ويثبتوا من كل جهة الطبيعتين. فليكن لنا هذا برهاناً اعني الانسان الذي نفهم ان له طبيعتين واحدة هي النفس وأخرى هي الجسد ونحن نعرف هذا بقلوبنا ولا نقسم الطبيعتين بل هو واحد نعرفه حتى ان هذين الاثنين لا يكونان بعد اثنين بل يكون منهما حيوان واحد هو الانسان هكذا اذا قلنا عن عمانوئيل انه من طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت فان الناسوت قد صار للكلمة وهو ابن واحد معه) عن كتاب اعتراف الآباء وقد استشهد بشيء من هاتين

الرسالتين صاحب كتاب القول الصحيح الذي ألفه لهداية الرافضين لاحكام مجمع خلكيدون . وقد تضمنت هذه الشهادات الابوية التي أوردناها المباديء الآتية وهي

أولاً ان الكلمة تجسد آخذاً جسداً من العذراء بنفس عاقلة واتحد به اتحاداً حقيقياً منذ الحبل الالهي

ثانياً ان اتحاد اللاهوت بالناسوت منزه عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة ومع ذلك فانهما واحد بالوحدة والاتحاد لان الذي قد اتحد لا يسمى اثنين بل واحداً وهذا الواحد لا ينقسم بالقول ولا بالفكر لانه من الممتنع حفظ الوحدة والاتحاد مع تثنية المتحدين ولو بالفهم اذ ذلك يحل التدبير وينقض الاتحاد

ثالثاً ان هذا الواحد المؤلف من اللاهوت والناسوت هو ابن طبيعي لله الاب وللعذراء مريم مولود من الاب بلا ابتداء ومولود من مريم في الزمان ولذلك فان العذراء هي ثئوتوكوس

رابعاً ان لاهوت هذا الواحد وناسوته وان كانا مختلفين

بالذات والصفات لكنهما يؤلفان أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة على قياس ما ان نفس الانسان وجسده المختلفين بالذات والصفات يؤلفان طبيعة واحدة وأقنوما واحداً

خامسا اذا تأملنا الاشياء التي تركب منها هذا الواحد نقول انها طبيعتان متحدتان لكن بعد الاتحاد نقول كما قال الآباء : طبيعة واحدة الكلمة المتجسد :

سادساً ان القائل ان المسيح بعد الاتحاد جوهران يضطر ان يقول انه أقنومان أيضا

سابعا ان الاعمال البشرية والالهية لهذا الواحد لا تخصص الاولى لجزء منه وهو الناسوت والثانية للجزء الآخر وهو اللاهوت فان ذلك هو اعتقاد نسطوريوس

ثامناً وعلاوة على ذلك فان الصفات البشرية تنسب للاهوت والصفات الالهية تنسب للناسوت لان الاتحاد الحقيقي يفعل هذا اذ يقرن بكل من المتحدين الامور التي هي للاخر

ولذلك فاننا نمجد الاله المولود من مريم الذي أمر بصلبه وقتله بيلاطس ونسجد لناسوته المعبود المحيي

العجائب القادر على كل شيء : لانه فيه حل ملء اللاهو
وقوة اللاهوت

هو

قد تم بنعمة الله الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

BX
139
A1
J5
v.2

8 JUL 1987

BX
139
A1
J5
v.2

8 JUL 1987